شرح لمعة الاعتقاد

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

نشرحُ اليومَ -إن شاء الله تعالىٰ- هذا الكتابَ وهو كتاب "لُمعة الاعتقاد" للحافظ الإمام الفقيه أبو محمد بن قُدامة المقدِسي -رحمه الله تعالىٰ-، ومن واقعِ الوقتِ المتاح لهذا الشرحِ لن نتمكنَ إلا من شرح -في العموم الأغلب- موجزٍ، لكن ثمة مواضع محددة قد نركِّز عليها أكثر من غيرِها حتىٰ قد تستغرقُ أكثر وقت في الشرح -إن شاء الله تعالىٰ- لأن هذا الكتاب فيه مواضع ذُكر أن ابن قدامة -رحمه الله تعالىٰ- ذكر فيها قولاً لا يتماشىٰ إلا مع قول المفوضة، وذكر هذا علماء أفاضل -رحمهم الله-، وأخذ بهذا أيضًا ثُلَّة من المتأخرين الذين انحرفوا في جانب الاعتقاد، يظنون أن التفويض هو قول السلف، ولا عجب؛ لأن الذي لم يمارس التعامل مع أقوال السلف ولا يدري بالكتب المصنفة حتىٰ في اعتقاد السلف لا عجب أن يعتقد أن هذا هو قول السلف؛ لأن من لا يعرف مقام السلف أولاً ولم يعرف الآثار الواردة عن السلف، لا يمكن أن يفهم حقيقة قول السلف، وإلا فادِّعاء الانتساب للسلف هذا ما يكاد يوجد أحد إلا ويدَّعيه.

يعني المعتزلة مثلاً تدَّعي أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي علىٰ قول المعتزلة، المعتزلة نشأت أصلاً علىٰ يد واصل بن عطاء في وقت الحسن البصري،

والرافضة يقولون مذهبنا مذهبُ أهلِ البيت، وهكذا كله يدعي أن قولهم هو قول السلف، لكن التقريبَ العلمي لقول السلف هذا لا يستطيعه إلا من مارسَ التعامل مع أقوال السلف، فإذا أردت أن تنظر في اعتقاد السلف عند البخاري، عند أحمد، عند مسلم، وإذا به اعتقاد من فهموا باعتقاد السلف.

أما أن يأتي من لو قيل له: ما المصنفات التي تنقل لك اعتقاد السلف؟ لما استطاع أن يجيب، كيف تعرف أصلاً اعتقاد السلف وأنت لم تمارس أقوال السلف؟!

فالتفويض - كما يقول أهل العلم- في الصفات، والمراد بالتفويض في الصفات: الزعم بأن معنىٰ الصفات غير معروف، بحيث يقرأ الواحد منهم الآية ويقول: المعنىٰ غير معلوم، وأخذوا بعبارات لابن قدامة ولمن قبل ابن قدامة، كالإمام أحمد وغيرُه، وزعموا أن هذا هو ما يقرِّره السلف.

فمثلاً يجدون أن السلف يقولون: هذه الصفات نؤمن بها بلا تفسير، انظر الآن هذه العبارة حين يسمعها من لا يفهم قول السلف، فيقول أرأيت السلف لا يفسرون، أول ما يسقط هذا الكلام أن نقول هذا الآن من "الفاتحة"، فاتحة الكتاب إلىٰ سورة "الناس" يأتيك بأقوال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادَة ومن بعدهم يفسرون نصوص الآيات، آيات الصفات، فكيف تقول إن

معنىٰ قولهم بلا تفسير: أن المراد به أن لا يتعرض لمعنىٰ الصفات؟! هذا أمر محال؛ لأنهم فسروا كما سيأتي في التفصيل -إن شاء الله تعالىٰ- الآتي.

الأمر الثاني: ما من أحدٍ من المُفَوِّضة إلا وهو مثل الجبرية بالضبط، يعني الجبري الذي يقول إن الله تعالىٰ قدَّر هذه الأمور جبرًا علينا، فنحن نعمل هذه الأشياء جبرًا: إن زنىٰ الزاني فهو جبر، وإن صلىٰ المصلي فهو جبر، ويُسقطون أي استطاعة للعبد، ويقولون العباد مجبرون علىٰ ما هم ماضون فيه.

مقتضىٰ هذا القول: إسقاط التكليف، هذا المعنىٰ؛ لأنه إذا زنىٰ الزاني فإنه لم يزنِ باختياره، وإذا قتل القاتل فإنه لم يقتل باختياره، فإذا تعدَّىٰ أحد علىٰ هذا الجبري، لجاء إلىٰ القضاء وصاح وطالب بحقه، ألست تقول إن العباد مجبورون؟! هو مجبور علىٰ ضربك أو أخذ مالك، فلا يقبل، نفس الشيء بالنسبة للمفوِّضة، كيف يسقط مذهب المفوضة، الكذبَة علىٰ الله وعلىٰ رسوله؟ هو الآن يدعو ويرفع يديه يسأل الله المغفرة ودموعه تتهامل من عينيه، اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي، اللهم اغفر لي، المغفرة غير معلومة، ألست تزعم أن المغفرة ليست معلومة المعنىٰ؟ والرحمة ليست معلومة المعنىٰ؟ لماذا تسأل الله؟! لماذا تخاف من بطش الله؟! وإذا سمعت قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، خفت؟ لأنك تعرف المعنىٰ، ولو لم يُعلم المعنىٰ وصارت هذه الصفات نصوصها كأنها حروف مفرَّقة ليس لها معنىٰ؛ لما وقع في قلبك

خوف ولما وقع في قلبك رجاء، فأنت كالجبري بالضبط الذي يُباهت ويعانِد ويدَّعي له مذهبًا، ثم هو يخالف مذهبه.

فالقول بأن نصوص الصفات لا يُتعرض لبيان معناها، لبيان المعنىٰ تبيينًا، أن هذه المفردة المغفرة معناها كذا، والرحمة معناها كذا، والبطش معناه كذا، هذا القول قولُ مُباهِتٍ، المُباهَتة يعني قول مكابر معاند؛ لأن السلف بينوا معناها، ولأن الذي يقول إن هذه الصفات ليس يُعرف معناها هو بنفسه يناقض نفسه، لأنه يسأل الله بصفاته ويتعوذ بالله -عز وجل- مما يخاف منه مما اتصف به كبطشه ونقمته.

الحقيقة أن التعامل مع هذا اللون من كلام أهل العلم -رحمهم الله تعالىٰ- مما سيأتي في كلام ابن قدامه وغيره -إن شاء الله- يحتاج إلىٰ أن يُعرض كلام العالِم بعضُه علىٰ بعض، هذا الكتاب اعتقادٌ موجز، ألم يصنِّف ابنُ قدامةَ مصنفاتٍ أخرىٰ؟ صنَّف. صنف مثلاً ذَم الكلام، صنف كتاب إثبات العُلو، هل فيه مفوض يثبت العُلوَّ؟ ما فيه مفوض يثبت العلو، العلو والاستواء كلها لا يتعرض لها المفوِّض، يقول: لا يُعرف معناها، هو صنَّف هذه المصنفات، وسنأخذ من كلامه -إن شاء الله عز وجل- ما يُبينه.

الحقيقة أن ثمة ألفاظًا لأهل العلم -رحمهم الله تعالىٰ- يأخذ أهل الزَّيغ هذه الألفاظ مثل قولهم: نؤمن بهذه الصفاتِ: لا كيفَ ولا معنَىٰ، فيقول هم الآن

يقررون أن هذه الصفات لا يُتعرض لمعناها، قِف. أنا آتي لكَ بكلامٍ لهذا الذي قال: ولا معنَىٰ يبيِّن فيه معنىٰ الصفات، أحد اثنين: إما أن هذا الرجل من السلف متناقضٌ يقول لا تُفسَّر ولا يُذكَر المعنىٰ، أو أنك أنت الجاهل بكلام هذا الرجل من السلف، والثاني هو الحق الذي لا مِرية فيه؛ لأن هؤلاء أئمة وعلماء، ثم أنت تزعم أن السلف بقولك بالتفويض جهِلوا أعظم بابٍ من أبواب الدِّين علىٰ الإطلاق.

هل أعظم أبواب الدين مثلاً أحكام الفرائض والمواريث؟ لا. هل أعظم أحكام الدين عموم مسائل الحلال والحرام؟ لا. أعظمُها العلم بالله -عز وجل- ؛ فهم يعلمون بربهم -سبحانه وتعالىٰ- من النصوص التي عرَّفهم الربُّ بها نفسَه، ثم بنوْا علىٰ ذلك بقية الأحكام؛ من حلالٍ وحرام وفعلِ واجبٍ وعبادةٍ ونحو ذلك، أما أن يعرِفوا الأحكام ويجهلوا العلم بالله -عز وجل، فهذا من أقبح ما يقال في حق السلف، بل السلف -رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم- أعلم الناس بالله -عز وجل-؛ إذ النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أعلم الخلقِ بربه، وقد بيَّن لصحابته -رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم- هذا الباب العظيم من باب العلم، وهو باب العلم بالله تعالىٰ بما عرَّف الربُّ به نفسه؛ ولهذا يأتينا -إن شاء الله- أن وكيعًا -رحمه الله- إذ قال: "بهذه الصفات عرفنا الله"، نعم نعرف الله -عز وجل-.

لو قال لك طفل من أطفالك: هل الله ينام؟ تجد الجواب لا، تقول له: لا؟! الله يقول: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هذا الرب العظيم القوي هل يظلم أحدًا لأن لا أحد يمنعه؟ تقول: لا، ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، يقول هذا الرب العظيم هل يسمعنا جميعًا؟ كل واحد منا يدعو وهذا يدعو، ولهذا حاجة ولذاك حاجة، هل يسمعنا جميعًا؟! تقول نعم، والله وسع سمعه الأصوات، هذه الصفات هي التي عرَّفت العباد بالله -عز وجل-، ولهذا ثبت في البخاري في خبر الصحابي الذي كان يصلي في أصحابه بسورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وسورة معها، فأمرهم النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- أن يسألوه لماذا يصنع هذا؟ قال: لأنها صفة الرحمن، وإني أحبها، فقال للنبي -صلىٰ الله عليه وسلم- سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ صفة الرحمن، أقرَّه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-، ما الذي في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾؟ الإثبات والنفي، ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ﴾: هذا إثبات، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾: هذا نفي.

إذن صفة الرحمن تُعرف من النصوص بأن نعلم ما الذي نُثبت لله وما الذي ننفي، وبذلك نعرف صفة الرحمة، هذا هو الوضع السوي وهو الذي مضىٰ عليه سلف الأمة -رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم-.

إذن يأتينا -إن شاء الله- لاحقًا.

لماذا قال السلف: بلا تفسير؟ قال السلف بلا تفسير يأتيك -إن شاء الله تعالىٰ- البيان من نصوص كثيرة؛ لأن الجهمية أحدثوا تفسيرًا، فقال السلف: التفسير الواضح الجلِي الذي يعلمه من قرأ كتاب الله -عز وجل- هو الذي مضىٰ عليه مَن قبلنا، فلا يتعرض لتفسير آخر محدَث مبتدع، وضَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -إن شاء الله تعالىٰ- نذكر الدلائل الكثيرة عليه من كلام السلف.

إذن قولهم: بلا تفسير ليس معناه أنه لا يفسرون نهائيًّا، وإلا كان هناك تناقض؛ لأن السلف يفسرون، انظر "فاتحة الكتاب" إلىٰ سورة "الناس" تجد أن السلف يفسرون نصوص الصفات؛ فقولهم: بلا تفسير، لا بدَّ أن يكون له معنىٰ هو تفسيرٌ محدَث غير التفسير الذي هم فسروه، وإلا لو كانوا يقولون بلا تفسير وهم يفسرون؛ لكانوا متناقضين -أجلَّهم الله من ذلك، فيأتينا أيضًا -إن شاء الله تعالىٰ- كلام للترمذي -رحمه الله تعالىٰ- أنه حين ذم الجهمية، قال: لأنهم فسروا بغير تفسير السلف، إذن معلوم وواضح أن السلف فسروا، إذن لماذا تذمون الجهمية؟ لأن لهم تفسيرًا أحدثوه يخالف تفسير السلف الذي يرويه الترمذي وأمثاله من علماءِ الأمة عن السلف، فهم يروون تفسير هذه نصوص الأسماء والصفات عن السلف، فجاءت الجهمية بتفسير آخر؛ لذلك قال: لأنهم يفسرون بغير تفسير السلف.

إذن عندنا تفسيران: تفسير السلف المستقر المعلوم المعروف، وتفسير الجهمية المحدَث؛ ولهذا قال القَعْنَبي ويأتي -إن شاء الله تعالىٰ- ويزيد ابن هارون -رحمهم الله-: من لم يقل إن ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كما يقرُّ في قلوب العامة؛ فهو جهمي، يقول: لوضوح معنىٰ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، لأن ﴿اسْتَوَىٰ﴾ إذا عُدِّيت بحرفِ "علىٰ" يكون معناها واضح، أنه يعني العُلو والارتفاع، ولأن السلف الصالح -رضي الله تعالىٰ عنهم- هل فسروا قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾؟ نعم، ففسروه بالارتفاع علىٰ العرش؛ ولهذا غضِب مالك كما سيأتينا -إن شاء الله- لما قال الرجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، كيف استوىٰ؟ مالِكٌ لم يغضب عليه؛ لأنه طلب المعنىٰ، لو قال: يا أبا عبد الله ما معنىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾؟ لوضَّح له؛ لأن السلف وضحوا معنىٰ الآية ﴿عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، لكنه يريد الكيفية، والكيفية لا شك أنها لا يمكن أن يُحاط بالله تعالىٰ في تفصيلٍ سيأتي.

إذن هذه الكلمات إذا رُدَّ بعضُها إلىٰ بعض؛ اتضح كلام العالِم -إن شاء الله عز وجل-، ويأتيك -إن شاء الله تعالىٰ- أمَّا الحقيقة التي لا ريب فيها ولا تردُّد أن القول بالتفويض هو قول من أقوال الأشاعرة، هو من أقوال الأشاعرة أصلاً

وهو الذي يَرجع إليه أساطين الأشاعرة في آخر عمرهم كالجُويني والرَّازي الذين لهم توبة في آخر حياتهم يرجعون للتفويض، يرجعون لتفويض المعنىٰ.

ولهذا يقول السُّبكي وهو من أشد الأشاعرة غلوًّا وتعصبًا، يقول: إن للأشعرية قولين في الصفات، تأويل الصفات وهو التحريف الذي يفعلونه، والتفويض، كلاهما لنا مذهبٌ، هكذا يقرر حقيقة التفويض لقول الأشاعرة، ولهذا العجب هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالحنابلة، يدَّعون الانتساب للإمام أحمد ويدَّعون الانتساب للسلف، أنهم علىٰ وئام شديد مع الأشاعرة؛ لأن هذا القول قول الأشاعرة.

يأتينا -إن شاء الله تعالىٰ- أن المصنف ابن قدامة -رحمه الله- من أشدِّ الناس علىٰ الأشعرية، كان شديدًا جدًّا علىٰ الأشعرية كما سيأتي -إن شاء الله تعالىٰ-؛ لأنه يرىٰ أنهم جهمية في الصفات، فكيف يقول ابن قدامة بقولٍ هو من أقوال الأشاعرة وهو التفويض؟!

إذن التفويض حاصله: أن المعنىٰ غير معلوم؛ ولهذا قال الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-، قال: إن المتأخرين أحدثوا عبارة مُولَّدة لم يقلْها السلف، حيث قالوا: إن هذه الصفات ليست علىٰ ظاهِرها؛ فظاهرها غير مُرادٍ ولا نخوض في ظاهرها، هذا هو التفويض، يقول مَقالة مولَّدة .أتىٰ بها هؤلاء المبتدِعة وزعموا أن هذه الصفات علىٰ غير ظاهرها، فإذا كانت علىٰ غير ظاهرها، ما المعنىٰ المراد؟ قالوا

لا نخوض فيها، هذه عبارة مولَّدة أتىٰ بها هؤلاء وزعموا أنها هي مقولة السلف، وتأتي -إن شاء الله تعالىٰ، بإذن الله تعالىٰ- تأتي تفاصيل في هذه المسألة، هذا -في الحقيقة في نظري- أهم ما في اللُّمعة؛ لأن اللمعة بقية المسائل الموجودة في أكثرها أشار لها إشارة -رحمه الله- كما سيأتي في الكلام علىٰ الحوض أو نحوه، تكلم في مسائل عظيمة لا يتوقف فيها سنيٌّ ولا يحتاج إلىٰ مزيد إقناع مثل القول في الصحابة -رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم-، فكثير مما في اللمعة ممكن أن يُمَر عليه مرورًا عابرًا، لكن عند الموضعين اللذين ذكرت -إن شاء الله تعالىٰ- سنحتاج إلىٰ مزيد من التوضيح والتبيين -إن شاء الله تعالىٰ- وفي مقدمة اللمعة.

والمراد باللُّمعة: "لمعة الاعتقاد" اللمعة لها عدة معانٍ، الأقرب لكلمة "لمعة الاعتقاد" أنها البُلغة، البُلغة من العيش، المقصود به هنا البلغة من الاعتقاد الذي علىٰ مذهب السلف.

{بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه، وبعد.

قال الشيخ أبو محمدٍ عبدُ الله بن أحمدَ بن قدامةَ المقدِسي في كتابه "لُمْعَةُ الاعْتِقَادِ الهَادي إلَىٰ سَبيل الرّشَاد": (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله المحمودِ بكل لسانٍ، المعبودِ في كل زمانٍ، الذي لا يخلو من علمه مكانٌ، ولا يشغله شأن عن شأن، جلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزَّه عن الصاحبة والأولاد

ونفذَ حكمه في جميع العباد، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾، له الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلىٰ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ * وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾ [طه: ٥ - ٧]، أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمـًا﴾ [طه: ١١٠]، موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم)}.

بدأ -رحمه الله تعالىٰ- بهذه المقدمة، بأن سمَّىٰ الله -عز وجل- وهذا المشروع لمن صنف كتابًا أو خطب خطبة أن يذكر الله في المقدمة، أن يسمي أو يحمد، فجمع بين التسمية والحمد، وأن الله تعالىٰ يُعبد في كل زمان -سبحانه وبحمده-، ولا يخلو من علمه مكان، فهو يعلم كل شيء -عزَّ اسمه-، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ... الآية﴾ [الأنعام: ٥٩]، ولا يشغله شأنٌ عن شأنٍ -سبحانه وبحمده-؛ لأنه ليس كمثله شيء، الإنسان من طبعه والمخلوق من طبعه أنه ينصرفُ إلىٰ شأن محددٍ، فلو أُشغل بشأن آخر؛ لتشوش، أما الله -عز وجل- فلا يشغله شأن عن شأن؛ ولهذا وسع سمعُه

الأصوات، وأبصر كل شيء من خلقه -سبحانه- ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣].

ثم ذكر ما يتنزَّه الربُّ عنه، وأن ينزَّه عن أن يكون له شبيه أو ندٌّ، والندُّ هو المِثل، وتنزَّه عن الصاحبة وهي الزوجة والأولاد، وحكمُه -سبحانه وتعالىٰ- نافذٌ بلا ريب في جميع العباد، والمراد الحكم القَدَري، فما شاء الله -عز وجل- أن يُنفذَه نَفذ، لا يرد الله تعالىٰ عن إنفاذِ حكمه رادٌّ، ثم بيَّن أن الرب لا يمكن أن يدرَك بعقلٍ ولا بتوهُّم، لا يَدعي أحد أنه لكمال عقله ورجحان فهمه يستطيع أن يمثِّل الله تعالىٰ بما وهبه من تفكير -مَعاذ الله-، الله تعالىٰ لا يمثَّل بتفكير، ولا تتوَّهمه القلوب بجعْل صورة له -سبحانه وتعالىٰ-، فلا يُعرف بفهْم ولا بوهْم -سبحانه وتعالىٰ-، وإنما كما عرف عباده سبحانه، فنعرفه بما عرف به نفسه، ولهذا يأتي أمر الصفات هذا من أعظم الأبواب؛ لأن الصفات تعريفٌ للعباد بربهم، مثل ما ذكرنا، إذا قال لك قائل: هل الله يسمع؟ هل الله يُبصِر؟ هل الله يعلم ما في القلوب الآن؟ يعلم ما يجوسُ في النفوس، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦]، كل الناس؟ كل الناس، في وقت واحد؟ في وقت واحد، ولا يشغله هذا عن هذا؟ لا يشغله.

هؤلاء الذين يدْعون، كلهم يدعون الله -عز وجل-، هذا يدعو بلسانٍ عربي، وهذا بلسان أعجمي، وهذا له هذه الحاجة، وذاك له هذه الحاجة، يعلم -سبحانه

وتعالىٰ- حاجاتهم جميعًا؛ ولهذا نبهنا عند قول النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-: «إذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي»، لمن؟ كل من يقرءون لو كانوا بمئات الملايين في وقتٍ واحد، يقول -عز وجل-: «حمِدني عبدي» لكل من قرأ؛ لأن صفاته لا تُقاس، فلا تقاس، لا يشغله شأن عن شأن بحيث يقول هذا الكلام لهذا المصلي دون هذا المصلي، كما أنه يسمع -سبحانه وتعالىٰ- دعوة هذا وهذا، فكذلك يقول للمصلي: «حمِدَني عبدي، مجدَّني عبدي، أثنىٰ عليَّ عبدي»، كل هذا يقوله تعالىٰ لجميع المصلين؛ لأن صفاته لا يمكن أن تُقاس بصفات المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، فهو يسمع الجميع ويُبصر الجميع -سبحانه وتعالىٰ-، وليس كمثله في سمعه وبصره ولا في شيء من صفاته، ليس له مثيل -سبحانه وتعالىٰ-.

ثم ذكر بعض الآيات مثل استوائه تعالىٰ علىٰ العرش ويأتي -إن شاء الله تعالىٰ-، وعلمه السرَّ وأخفىٰ، وأن الله تعالىٰ قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا يعزُب عن علمه شيء، وأنه من جهة حكمه وعزته قد قهر جميع المخلوقين، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم: ٩٣]، الجميع عبيد له -سبحانه وتعالىٰ-، ووسع كل شيء رحمته وعلمه، فرحمته -تبارك وتعالىٰ- وسعت كل شيء كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[الأعراف: ١٥٦]، وقد أحاط بكل شيء علمه، موصوف بماذا؟ بالذي يصف به نفسه في كتابه أو فيما أنزله علىٰ نبيه -صلىٰ الله عليه وسلم-، أما ما سواه فلا يُوصف الله تعالىٰ بشيء مما اخترعه المتكلمون مما سموه دلالات العقل الدالة علىٰ هذا، وكذلك الأسماء وكذلك الفلاسفة، كل هؤلاء اجترؤوا جرأة قبيحةً وسموا الله بما لم يسم به نفسه، ووصفوه بما لم يصف به نفسه، وفي الوقت نفسه نفوا عنه ما أثبته لنفسه، فالله تعالىٰ نعلم أسماءه وصفاته من كتابه وسنة نبيه -صلىٰ الله عليه وسلم-.

{(وكل ما جاء في القرآن أو صحَّ عن المصطفىٰ -عليه السلام- من صفات الرحمن وجَب الإيمان به ، وتلقِّيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرُّض له بالردِّ والتأويل والتشبيه والتمثيل، وما أَشكل من ذلك وجبَ إثباته لفظًا، وتركُ التعرُّض لمعناه ونردُّ علمَه إلىٰ قائله، ونجعل عُهدتَه علىٰ ناقله اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين بقوله - سبحانه وتعالىٰ-: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقال في ذمِّ مبتغي التأويل المتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فجعل ابتغاءَ التأويل علامة علىٰ الزَّيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أمَّلوه)}.

(عما أمَّلوه) يعني: ما يأملون أن يصلوا إليه من الأمل.

{(ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾)}.

هذا الموضع يحتاج -كما قلنا- إلىٰ شيء من البسْط والتبيين، وسنرجع -إن شاء الله- إلىٰ كُتب الإمام ابن قدامة -رحمه الله تعالىٰ- ونوضح مراده، فإنه في هذه العقيدة مثل ما ذكرنا يوجِز العبارات، فهذه العبارات فيها إجمال إذا رددنا هذا الإجمال إلىٰ التفصيل؛ اتَّضح -إن شاء الله تعالىٰ- الأمر.

أولاً: أوجب أمرين: الأمر الأول: يعم جميع الصفات، وهو الإيمان بها وقبول ما جاءت به النصوص منها، ومنعَ المسالك الباطلة الأربعة التي ذكرها وسنتكلم عليها -إن شاء الله-.

الأمر الثاني الذي أوجبه يخص ما أَشكل علىٰ أحدٍ من هذه الصفات، فأفرده بحكم خاص هو ما سمعناه.

إذن الأمر الأول: أن الواجب علىٰ كل من بلغه صفة من صفات ربه تعالىٰ في القرآن أو صح عن نبيه -عليه الصلاة والسلام- أن يؤمن بهذه الصفات، كما أنك تؤمن بأن الله تعالىٰ أوجب الواجبات وحرم المحرمات، فكذلك ما وصف به نفسه تثبته لله تعالىٰ، ما نفاه عن نفسه، تنفيه عن الله -عز وجل-، وكذلك ما

جاء في سنة نبيه -صلىٰ الله عليه وسلم، تتلقاه بالتسليم والقبول، تُسلم لله -عز وجل- لأن الله تعالىٰ يُخبر عن نفسه أو النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- يُخبر عن ربه وتَقبله، وتترك التعرُّض له **بالمسالك الأربعة الفاسدة:**

الأول هو الرَّد: أن ترد علىٰ الله -عز وجل- ما أثبت لنفسه، فالردُّ هو تكذيب، بأن يُكذب النص الوارد، فمن كذَّب نصًّا واردًا في القرآن صُراحًا، كأن يقول: ليس لله يد، أو يقول الله لا يستوي علىٰ عرشه، فهذا قد كذَّب نفس اللفظ، وتكذيب نفس اللفظ كُفر بلا شك، مثل ما لو قال: الصلاة غير واجبة، الخمر غير محرمة؛ لأنه ردَّ الحكم، فكذلك إذا ردَّ ما أثبت الله لنفسه، ولا أعلم في فِرقِ الأمة كلها من يقول هذا، حتىٰ الجهمية، كل هؤلاء ما أحد يستطيع أن يقول: أنا أكذِّب أن الله استوىٰ علىٰ العرش، أكذب أن الله تعالىٰ يجيء يوم القيامة، لكن يزعم أن للاستواء معنًىٰ هو كذا، يحرِّف المعنىٰ هذا يأتي الكلام عليه، لكن لو قال أحد: لا، الله تعالىٰ، وإن قال: الرحمن علىٰ العرش استوىٰ، أنا أقول الرحمن لا يستوي، ما فيه أحد يقول هذا، ولو قال هذا يكفر بوضوح.

المسلك الثاني: التأويل، والتأويل في كلام الله وكلام رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم- في كلام السلف له معنيان، المعنىٰ الأول: هو التفسير، أوَّلَ الآيةَ أن يفسر الآية.

المعنىٰ الثاني للتأويل هو حقيقة الشيء، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ ...﴾ [الأعراف: ٥٣] إلىٰ آخر الآية، يوم يأتي تأويل القيامة، ما تأويل النار؟ حقيقتها -نسأل الله العافية- حين يشاهدونها، ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، تأويل النار ما هو؟ حقيقة النار التي يرونها، وكذلك الجنة، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾، هذا هو معنىٰ التأويل.

اخترع المتأخرون معنًىٰ للتأويل لطَّفوا به ما فعلوه من التحريف، وذلك أنهم يصرفون اللفظ الظاهر الواضح الجليَّ الذي تجد فيه تفسير النبي -صلىٰ الله عليه وسلم- وتفسير الصحابي وتفسير التابعي، فيُحرفونه إلىٰ معنىٰ آخر، فبدلاً من أن يسموا فعلهم القبيح تحريفًا، يسمونه تأويلًا؛ لأنه لا أحد يقول تعالَوا سأحرف معاني هذه النصوص، ما أحد يقبل هذا الكلام، لكن سيقول: سأُؤوِّل ويسمِّي التحريف تأويلًا، فهذا مما صنعه المتأخرون، أما في النصوص فإنَّ التأويل علىٰ ما ذكرنا له المعنيان اللذان ذكرنا.

المسلك الثالث، حين أتكلم عما يجب من التعامل مع هذه النصوص: ترك تشبيه الرب -سبحانه وتعالىٰ- بشيء من خلقه، وكذلك ترك التنزيه، فهذا الفعل لا شكَّ أنه فعل من لا يعرفون الله؛ فالتشبيه: بأن نُثبت لله -عز وجل- مشابهًا فيما يختص به تعالىٰ من حقوق أو صفات، والتمثيل: أن يُثبت لله مماثلاً فيما اختص به تعالىٰ من حقوق أو صفات، وهل فيه عاقل يمكن أن يقول إن هذا المخلوق

الضعيف الذي كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، يشبه الله؟ أو مماثلٌ لله؟ ما يقول هذا أحد إلا معاند مباهِت من أهل الزندقة والإلحاد؛ ولهذا الذين قالوا هذَا أصلُ من ابتدع هذه الفكرة هم زنادقة الرافضة السبئية الأوائل، هم الذين أتَوا بالتشبيه، وكذلك المتقدمون مثل هشام بن الحكم وكذلك الجواليقي وأمثاله من الزنادقة، إنهم حقيقة زنادقة، يقول أحدُهم: إن صفة الله مثلُ صفة المخلوق؟! لذا قال شيخ الإسلام في "الرسالة المدنية": أكثر أهل أصحابنا علىٰ أن المشبهةَ كفارٌ، حين يقول إن الله مثل المخلوق..، يكون الله مثل المخلوق في علمه؟! في سمعه؟! في بصره؟! يعزب عن الله ما يعزُب عن المخلوق؟!، يعلم الله نفس ما يعلم المخلوق؟! ما يقول هذا إلا إنسان زنديقٌ.

الحاصل: أن هذه المسالك الأربعة نبَّه علىٰ وجوب تركها عند التعرض لهذه الصفات.

قال: (ونعلم أن ما جاء به الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- حق لا شك فيه ولا ريب فيه)، ما نطقَ به فهو لا ينطق عن هوًىٰ -عليه الصلاة والسلام-، ولا نردُّ علىٰ رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم-، ولا نصف الله تعالىٰ بأكبر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غايةٍ، ما نحدد نحن الصفة لله -عز وجل-، الله تعالىٰ

هو الذي يعلم صفاته علىٰ ما هي عليه، ولهذا كلمة الحدَّ تارة تُنفىٰ وتارة تُثبت، فهل يقال: إن لصفات الله حدًّا؟

تارة قيل إن بعض أهلِ العلم يقولون بلا حدٍّ، يعني بلا حدٍّ نعلمه، لكن هل للصفات حدٌّ يعلمه الله؟ نعم، فلها حد يعلمه الله، أما نحن فلا نعلم حدَّ الصفات، فإذا قال بلا حدٍّ نعلمه، وإذا أثبت الحد للصفة، فإنه يقول حد يعلمه الله -سبحانه وتعالىٰ-.

ثم أورد قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به، لا نتعدىٰ ذلك ولا يبلغه -سبحانه وتعالىٰ- وصف الواصفين، إذا أراد أحد أن يصف الله من تلقاء نفسه، فإنه لا يمكن أن يبلغ وصف ربه سبحانه؛ لأنك ما تستطيع أن تصف إلا من أحطت به إحاطة، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(نؤمن بالقرآن كلِّه محكمه ومتشابهه)، المُحكَم: هو الواضح البَيِّن، محمد رسول الله محكم واضح، أن هذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- قد أرسله الله تعالىٰ للناس.

المتشابه: هو الذي لا يتضح لفظُه إلا إذا رُدَّ إلىٰ المحكم؛ فاللفظة الواردة فيها نوع من التشابه، وقد أخبر الله تعالىٰ أن هذا الكتاب أنزله هكذا، ﴿هُوَ الَّذِي

﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، الواجب أن تُرد المتشابهاتُ إلىٰ أمِّ الكتابِ، هذه المحكمات.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، المتشابه هو الذي لا يُعرف معناه إلا بردِّه إلىٰ المحكم، فإذا رُد إلىٰ المحكم؛ زال التشابهُ، ونعطيك مثالاً عليه:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، أليس الله في السماء؟ بلىٰ، ما معنىٰ قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ﴾؟

لأهل العلم مسالكُ في الجواب علىٰ هذه الآية؛ فمنهم من يقول: رُد هذه الآية المتشابهة إلىٰ نظيرتها المحكمة، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، الإله: معناه المعبود؛ أي أن الله معبودُ أهل السماوات ومعبودُ أهل الأرض، وهذا أوضح الأجوبة.

قولٌ آخر لبعض أهل العلم: يقول: إن قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾، فيه وقفٌ، ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾، فيكون كقوله: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ثم استأنفَ قال: ﴿وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، فيكون قوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾، ويبقىٰ قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ كلام مستأنف، قالوا: فهذا المتشابه.

فيبقىٰ قوله: ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني أنه تعالىٰ في السماء، ﴿وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وهذا وردَ في أكثر موضع التنبيه إليه في كتاب الله -عز وجل- حيث أخبر تعالىٰ أنه كما في سورة "المجادلة" وفي سورة "الحديد" أنه تعالىٰ في السماء وهو يعلم ما العباد عاملون، وهكذا في حديث "الأوعال" وغيره، أن الله -عز وجل- في السماء لا يخفَىٰ عليه شيء من أمر عباده -سبحانه وتعالىٰ-.

ثم قال: (ولا نُزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شُنِّعت)، يعني أنه يأتي إنسان ويشنِّع ويقول أنتم مشبِّهة، أنتم مجسِّمة، أنتم كفار، أنت ارتددتم، أنتم كذا، هذا تشنيع هذا، لا نتنازل ونترك الحق لمجرد أن هذا يشنع، فالتشنيع هذا علىٰ صاحب المذهب الحق هذا كثير من قِبل أهل التعطيل وأهل المذاهب المنحرفة؛ فالمعتزلة تُشنع علىٰ أهل السُّنَّة بأنهم مجبرة، والرافضة تشنع علىٰ أهل السُّنَّة بأنهم ناصبة، وأنواع من أنواع التشنيع لا يَترك المؤمن الحق الذي قد علمه من كتاب الله ومن سنة نبيه -صلىٰ الله عليه وسلم- لتشنيعِ مبتدع عليه، هذا مرادُه.

(ولا نتعدىٰ القرآن والحديث)، لا نتجاوز القرآن والحديث لما سماه أهل الاعتزال مثلاً العقل، وهو ليس بعقل، هو هوىٰ، يسمون هواهم عقلاً، (ولا نعلم كيفَ كُنه ذلك إلا بتصديق الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم-)، الكُنه: هو

الحقيقةُ، هذه مسألة إلىٰ الله -عز وجل- علمُها، فلا نعلم ذلك ونصدِّق الرسول -صلىٰ الله عليه وسلم- ونثبِت القرآن الوارد.

هذا الموضع أخذ منه مثل ما قلنا بعضهم أن ابن قدامة -رحمه الله- مال إلىٰ قول المفوضة، قالوا: لقوله: (لا معنىٰ)، لو أردنا أن نضع هذا السؤال: هل معنىٰ الصفات واضح؟

يقال: معنىٰ الصفات من حيثُ المفردةُ، الاستواء: هو العلو علىٰ العرش هذا واضح، أما المعنىٰ الذي عليه الله، المعنىٰ الذي الله عليه يعود إلىٰ الكُنه، يعود إلىٰ كيفية الصفات، فتحقيق المعنىٰ الذي عليه الله -عز وجل- بحيثُ يُعرف معنىٰ هذه الصفة علىٰ الحدَّ الذي الله عليه إلىٰ الله وهو الكيفية، فلهذا لا نبادر إذا سمعنا من يقول: بلا معنىٰ، مباشرة كما سيأتي -إن شاء الله تعالىٰ- في كلام كثير من أهل العلم، أن نقول هذا قول المفوِّضة، الحقيقة هذا استعجال. حتىٰ يُعرف أنه يقول إن المعنىٰ منفيٌّ من أصله، من المفردة نفسها، اللغوية يُنفىٰ، هذا وضعها، أما إذا قال ولا معنىٰ، يقال المعنىٰ الذي عليه الله يعود إلىٰ الكيفية، ويأتي -إن شاء الله تعالىٰ- عرض كلام ابن قدامة في كتابه هذا علىٰ مواضع مما في نفس الكتاب وعلىٰ كتابه "ذم التأويل" وغيره.

ابن قدامة ذكر أن ما أشكل من هذه الصفات يجبُ معه أمران: إثبات لفظه لأنه من عند الله، فلا يحل لنا إلا الإيمان به، لأنه من عند الله.

الثاني: ترك التعرض للمعنىٰ وردُّ العلم به إلىٰ من قالَه، وهذا هو الواجب علىٰ من جهِل أمرًا ولم يتبين له في النصوص، يلزمه أن يُثبت اللفظ لأنه كلام الله أو كلام رسول -صلىٰ الله عليه وسلم- حقٌّ لا شك فيه، وإن جهل هو معناه فليس له أن يتعرض للمعنىٰ، ليقول أنا أجهل المعنىٰ، إذا جهلت المعنىٰ فاصمت، لا تجمع الجهل بالمعنىٰ والجرأة علىٰ تبيين المعنىٰ وأنت لا تعلمه، فمن جهل معنىٰ شيء؛ فإنه إذا خاض فيه خاض بلا علم.

هذا الكلام من ابن قدامة في قوله: (لا معنىٰ) نقول فيه إجمالٌ، والقاعدة: أن يُعرض الكلام المجمل علىٰ الكلام المبين، سبب الإجمال: أن ابن قدامة هنا في مقام إيجاز، سماها "لمعة" مجرد بُلغة موجزة ولم يفصِّل، فمثل اللمعة موجز كما ترىٰ ولم يرد التفصيل، إذا رجعنا إلىٰ كلام ابن قدامة المبيَّن؛ اتضح مراده بهذه الكلمة هنا.

ابن قدامة -رحمه الله- له كتاب اسمه "ذم التأويل"، قال فيه: ومذهب السلف الإيمان بصفات الله وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته أو علىٰ لسان رسوله -صلىٰ الله عليه وسلم- من غير زيادة عليها ولا نقصٍ منها ولا تجاوزٍ لها ولا تفسيرٍ لها ولا تأويلٍ لها بما يخالف ظاهرها.

هنا بدأ يتضح الكلام، أنه ينهىٰ عن تفسير أو تأويل يخالف الظاهر، إذًا هو ماذا يريد؟ يريد أن يثبت الظاهر، الظاهر ما هو الظاهر؟ الذي دلت عليه اللغة،

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، فهو باللغة العربية حتىٰ تعقله وتفهمه.

فقال: (ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين، بل أمرُّوها كما جاءت، ردوا علمها إلىٰ قائلها ومعناها إلىٰ المتكلم بها.

له كتاب آخر اسمه "تحريم النظر في كتاب الكلام"، أورد فيه قول ابن عقيل، وابن عقيل مال إلىٰ مقالات المعتزلة، أورد فيه قول ابن عقيل: ما الذي يظهر لكم من معنىٰ هذه الألفاظ الواردة في الصفات؟

رد ابن قدامة بقوله: هذا تسرعٌ في التجاهل، كأنه لا يعرف معتقدَ أهل السنة، ثم قال ابن قدامة: قد علِمنا أن لها معنىٰ في الجملة يعلمُه المتكلم بها، فنحن نؤمن بها بذلك المعنىٰ".

أرأيت رد كلام العالم إلىٰ كلامه الآخر اتضح الآن معنىٰ قوله: بلا معنىٰ، يقول لها في الجملة معنىٰ، يعني قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}، ما في أحد لا يعرف معناها ممن يعرف اللسان العربي، وقوله: {إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[البقرة:١٩٩]، يقول في الجملة معلوم، ولهذا يقول مستنكرًا علىٰ ابن عقيل هذا السؤال الذي سأله يقول: كأنه لا يعرف معنىٰ اعتقاد أهل السنة، علمنا أن لها معنىٰ في الجملة

يعلمه المتكلم بها فنحن نؤمن بها بذلك المعنىٰ. وهنا ماذا يقول؟ يقول: ولا معنىٰ، أرأيت مراده في قوله: ولا معنىٰ؟ إذا عرضته علىٰ باقي كلامه المفصل اتضح معناها، ثم قال رادًّا علىٰ كلام ابن عقيل أيضًا حين نفىٰ العلم بالمعنىٰ ردَّ عليه بقوله: "كيف يسأل عن معنىٰ" يعني ابن عقيل وهو يقول: لا أعلمه؟، وكيف يسأل عن كيفية ما يرىٰ أن السؤال عنه بدعة والكلام في تفسيره خطأ؟ يقول أنت الآن تقول: إن المعنىٰ غير معلوم، وتفسيره خطأ، إذًا أنت كيف تسأل عن معنىٰ شيءٍ أنت تقول: إني لا أعلمه، وكيف تسأل عن كيفيةِ ما ترىٰ أن السؤال عنه بدعة والكلام في تفسيره خطأ؟ يعني يُنكر علىٰ ابن عقيل ما زعمه من عدم العلم وعدم التفسير.

إذا جمع طالب العلم بين كلام ابن قدامة في الموضعين هنا تبيَّن أنه لا يقول بتفويض المعنىٰ علىٰ ما عليه المفوضة، وذلك من خلال الآتي:

أولًا: لأنه نص علىٰ أن مذهب السلف هو عدم تفسير الصفات وتأويلها بما يخالف ظاهرها، وذلك يعني أن معناها الظاهر هو الذي يجب التزامه وعدم تأويله، كما في طريقة من؟ ابن قدامة أصلًا صنف كتابه: "ذم التأويل" للرد عليهم وهم أهل التأويل، المفوِضة يقولون: ظاهر الصفات غير مراد، وابن قدامة هنا يُوجب التزام الظاهر الذي دلت عليه الصفات، فعلمنا بذلك الفرق بين قول ابن قدامة وبين قول هؤلاء المفوضة.

ثانيًا: نص في الموضع الثاني في كتاب: "تحريم النظر" في كتب الكلام: نص بوضوح علىٰ أن صفات الله لها معنىٰ يعلمه المتكلم ونحن نؤمن بهذا المعنىٰ.

ثالثًا في بقية كلامه: في هذا الموضع استجهَل من فوَّض المعنىٰ؛ حيث قال في رده: كيف يسأل عن المعنىٰ - يعني ابن عقيل - وهو يقول: إن هذا المعنىٰ مما لا يُعلم ويذكر أن تفسيره بدعة؟ فإذا جمعت قوله بإثبات المعنىٰ وقوله بأن السلف لا يفسرون الصفات بمعنىً يخالف ظاهرها، مع استجهاله لمن سلَك طريق المفوِّضة علمت أن كلامه هنا في "اللمعة" في هذا الموضع فيه إجمال، إذا عُرض علىٰ بقية كلامه زال ما فيه من إجمال وتبيَّن.

الأمر الرابع: ابن قدامة رحمه الله صنَّف كتاب: "إثبات صفة العلو"، والعلوُّ لا يمكن أن يُصنف فيه مفوضٌ؛ لأن المفوض يترك الكلام نهائيًّا لا في العلو ولا في الاستواء ولا في أي شيء من هذه الصفات، إذ هو يزعم أن الصفات لا يُتعرض لإثبات حقائقها، مما يوضح لك بُعد ابن قدامة رحمه الله عن مذهب المفوضة هذا الكتاب.

قال في مقدمته: "أما بعد فإن الله وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله، وأجمع علىٰ ذلك جميع العلماء من الصحابة والأئمة وتواترت الأخبار بذلك علىٰ وجهٍ حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزًا في طِباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون

السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للنداء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم لا يُنكر ذلك إلا مبتدعٌ غالٍ في بدعته أو مفتونٌ وأنا ذاكرٌ في هذا الجزء بعض ما بلغني من الأخبار عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وصحابته، والأئمة المقتدين بسُنته".

ثم ساق ابن قدامة النصوص الواردة في القرآن الدالة علىٰ العلو وهي كثيرة، ثم ساق النصوص من السُّنة وهي كثيرة أيضًا، ثم ساق آثار الصحابة والتابعين وكلام أئمة الإسلام في إثبات علو الله، وأن الله مستوٍ علىٰ عرشه، ومنه قول ابن المبارك لما سئل: كيف نعرف ربنا؟ فقال: في السماء السابعة علىٰ عرشه.

ثم أورد ابنُ قدامة ما رواه الخلاَّل عن الإمام أحمد أن الإمام أحمد سئل عن قول ابن المبارك هذا؟ فأقره قائلًا: هكذا هو عندنا". يعني أننا نعرف ربنا بكونه سبحانه وتعالىٰ في السماء السابعة.

وروىٰ أيضًا ابنُ قدامة أن أحمد قيل له: الله فوق السماء السابعة علىٰ عرشه بائنٌ من خلقه، وقدرته علمه بكل مكان؟ قال: نعم علىٰ العرش ولا يخلو من علمه مكان.

وبعد أن ساق النصوص والآثار في آخر كتابه ابن قدامة قال: "وأول من خالف في ذلك فيما علمنا الجهم بن صفوان". يعني أول من خالف في إثبات

صفة العلو ونحوها كذلك صفة الاستواء وغيرها الجهم بن صفوان فعاب ذلك عليه وعلىٰ أصحابه الأئمة من العلماء والفقهاء واستعظموا قولهم وبدعتهم، ثم إن الجهمية مضطرون إلىٰ موافقة أهل الإسلام علىٰ رفع أيديهم في الدعاء وانتظار الفرج من السماء، وقول: "سبحان ربي الأعلىٰ" يعني في الصلاة، وتلاوة ما يدل علىٰ ذلك من كتاب الله وسُنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم. يقول – هذا الكلام الذي قلناه في أول الشرح – أنهم معاندون مباهتون هو الجهمي إذا أراد أن يدعو رفع يديه إلىٰ السماء، لمن تدعو؟ هاتان اليدان اتجهتا إلىٰ من؟ لو اتجهتا لغير الله لكان شركًا، هكذا مباشرة يرفع يديه وبصره إلىٰ السماء، يقول هم الآن الجهمية علىٰ هذا، هم مضطرون إلىٰ موافقة أهل الإسلام علىٰ رفع أيديهم في الدعاء وانتظار الفرج من السماء.

يقول: "ثم لا يزال" أي الجهمية – "يسمعون من السُّنة ما يُقرع رؤوسهم ويُحزن قلوبهم، ويسمعون من عامة المسلمين في أسواقهم ومحاوراتهم من ذلك ما يغيظهم" يعني من أن الله تعالىٰ في السماء وأن الله فوقنا ونحو ذلك لا يستطيعون لهم ردًّا، وليس لهم في بدعتهم هذه حجة من كتاب الله ولا سُنة ولا قول صحابي ولا إمام مروِّي إلا اتباعَ الهوىٰ.

واضح جدًّا المفوض يستحيل أن يثبت العلو، محال أن يثبت العلو.

حدثني يعني أحد طلابنا بأنه كان عند أحد هؤلاء المفوضة في مكتبته ويزعم أنه علىٰ طريقة الحنابلة وهو أبعد الناس عن الحنابلة، يقول: فوجدت كتاب ابن قدامة: "إثبات صفة العلو" في مكتبته، فقلت يا شيخ: ما هذا الكتاب؟ يقول ما أجاب وضحك، هذا الكتاب أصلاً ضد كلامه ويزعم أنه علىٰ اعتقاد ابن قدامة، وهذا الكتاب في مكتبتك الآن في إثبات العلو فلم يستطع الجواب؛ لأنه لا يمكن أن يقول بالعلو أحد من المفوضة؛ لذلك قلنا: إن الألفاظ هذه التي يكون فيها شيء من الإجمال تُرد إلىٰ الكلام المُبين فيتضح بإذن الله عز وجل ما كان فيها من إجمال ويزول الإشكال الذي فيها. هذا مُجمل يعني ما يقال في الكلام علىٰ ابن قدامة.

ونضيف له خامسًا: من الوجوه الدَّالة علىٰ بُعد ابن قدامة عن المفوضة: أنه رحمه الله تعالىٰ -كما قلنا- من أشد الناس ذمًّا للأشعرية، وله مصنفات في الردِّ عليهم، وأبطل قولهم بما يسمىٰ بالكلام النفسي الذي قالت به الأشاعرة، والأشعرية من أشهر من قال بالتفويض وبالتأويل كما ذكرنا، وموقفه بالغُ الشدة منهم رحمه الله تعالىٰ كما رأيت، وابن قدامة رحمه الله له موقف لطيف مع أحد مشاهير الأشاعرة: سلَّم هذا الأشعري علىٰ ابن قدامة، وابنُ قدامة لأنه يرىٰ أنه من أهل البدع لم يرد عليه، فسُئل في ذلك؟ قال: هو يقول بالكلام النفسي وأنا رددت عليه بنفسي، أليس يقول بالكلام النفسي هو؟ يقول أنا رددت في نفسي،

يعني إلزامًا له بقوله، هذا الكلام النفسي يعني مذهب من مذاهب المبتدعة التي انفردت بها الأشعرية، يعني مبدأَه من ابن كُلَّاب.

ومراد ابن قدامة: التهكم بقول الأشاعرة، والأشعرية هم أصحاب القول بالتفويض، فكيف يكون هذا موقفه رحمه الله تعالىٰ منهم ثم يقول بقولٍ من أقوالهم، وله في الحقيقة كلام شديد جدًّا رحمه الله تعالىٰ وصنف في إثبات الحرف والصوت وأن القرآن أن كلام الله بالحرف والصوت يأتينا إن شاء الله تعالىٰ كله من باب الرد علىٰ الأشعرية، وهكذا تصنيف كتابه في إثبات العلو" ردًّا علىٰ الأشعرية، الأشعرية لا تُثبت العلو، والتفويض مسلك من مسالك الأشعرية، فكيف يقال: إن ابن قدامة علىٰ هذه المسلك لهذه الفرقة مع موقفه هذا منهم؟! نعم.

(كلام الإمام أحمد بن حنبل في الصفات)

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمدٍ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه في قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إنَّ الله ينزلُ إلىٰ سماء الدنيا» و «إن الله يرىٰ في القيامة»، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنىٰ، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلىٰ الله عليه وسلم حقٌّ، ولا نرد علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولا نصفُ الله بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حدٍّ ولا غاية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورىٰ: ١١] ونقول كما قال،

ونصفه بما وصف به نفسَه، لا نتعدَّىٰ ذلك، ولا يبلُغه وصفُ الواصفين، نؤمن بالقرآن كلِّه محكمِه ومتشابهه، ولا نُزيل عنه صفةٍ من صفاته لشناعةٍ شُنِّعت، ولا نتعدَّىٰ القرآن والحديثَ، ولا نعلم كيف كُنهُ ذلك إلا بتصديق الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وتثبيتِ القرآن.

بعد ذلك نقل كلام الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ فيما يتعلق بأحاديث النزول والرؤية وما أشبهها أوجب فيه أحمد الآتي:

الأول: الإيمان بها"، وتقدم الكلام عنه.

الثاني: نفي تكييفِها"، وليس المراد إذا قالوا: بلا كيف" أنها ليس لها كيفية، المراد: نفي أن نعلم كيفية الصفات التي الله تعالىٰ عليها حقيقة؛ لأن هذا مما اختص الله تعالىٰ به وحده وقد قال تعالىٰ: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠].

الأمر الثالث: نفيُ وجود معنىٰ لهذه الصفات يخالف المعنىٰ الذي فهِمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأفهمه الصحابة رضي الله عنهم، وأفهمه الصحابةُ التابعينَ، لا شك أن هذا هو مقصود الإمام أحمد ويأتيك إن شاء الله تعالىٰ في البيان، وليس المعنىٰ: أن أحمد رحمه الله ينفي العلم بمعنىٰ الصفة، الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ سيد من يعلمون الآثار والنصوص، ولا يخفىٰ عليه

أبدًا أن السلف قد فسروا هذه الصفات وبينوا معانيها، كما قلنا: أن ذلك موجود في مثل تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن جرير، وكذلك في الكتب المصنَّفة في الاعتقاد مثل كتاب اللاَّلِكائي: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" و "الشريعة للآجُرِّي"، وهكذا كتب السُّنة عمومًا التي صُنفت في بيان معاني صفات الله تبارك وتعالىٰ في الاعتقاد، ومن ضمنها أن بينت معاني هذه الصفات، هذا موجود يعني تفسير السلف وبيان معنىٰ الصفة هذا موجود في هذه الكتب بالأسانيد الثابتة الصحيحة التي لا يشك فيها الإمام أحمد، إن قلت: ما الدليل علىٰ أن الإمام أحمد لم يرد بنفي المعنىٰ نفي العلم بالمعنىٰ من أصله كما تقول المفوضة؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أن ابنَ بطة روىٰ في الإبانةِ الكبرىٰ عن أحمد: ولا معنىٰ إلا علىٰ ما وصفَ به نفسَه.

ولهذا قلنا إن ردَّ كلام العالم بعضِه إلىٰ بعضه مهمٌّ للغاية، فأثبت لها معنىٰ يليق بالله وهو كما وصف به نفسه.

الثاني: قوله في نفس الكلام: "ولا نزيلُ عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شُنِّعت".

التشنيع": هو أن يُشنع علىٰ أهل السُّنة جملة من الحرب الكلامية بأنكم مجسمة، بأنكم مُشبهة، بأنكم كفار، بإثبات أنكم تشبهون الله هذا معنىٰ التشبيه،

وأحمد يقول: لا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعةٍ شُنعت"، أهل التأويل درجوا علىٰ التشنيع علىٰ أهل الإثبات لإثباتهم الصفات، ويوردون عليهم أن إثباتكم للصفات علىٰ حقيقتها يلزم عليه شناعة توجب كفركم، ويهوِّلون بمثل هذه العبارات، فالتشنيعُ الذي يُشنع به هؤلاء يوجهونه لمن؟ لمن أثبت لهذه الصفات معانيَ حقيقية، أما من فوض المعنىٰ قال: أنا لا أخوض نهائيًّا في المعنىٰ فلا يشنعون عليه أصلاً، المعطلة لا تتعرض لهذا أصلًا؛ لأنهم يرون كما قلنا: أن مسلك التفويض مسلك صحيح، وهو الذي يعود إليه كثير منهم كما قلنا لتعرف أن كلام الإمام أحمد هنا يدل علىٰ استحالة أن يكون مراده تفويض المعنىٰ نفس المعنىٰ يعني نفس معنىٰ: استوىٰ {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}[طه:٥]، وأن معناه: ارتفع علىٰ العرش، مستحيل أن يكون هذا هو مراد الإمام أحمد.

ثالثًا: في بقية كلام الإمام أحمد ما يُبين المراد من نفي العلم؛ حيث قال: "ولا نعلم كيف كُنهُ ذلك إلا بتصديق الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، وتثبيت القرآن"، فاتضح أنه يريد نفي العلم بالكيفية، الكُنه: هو حقيقة الشيء، فهو يريد نفي العلم بالكيفية لا نفي المعنىٰ الصحيح الذي فسر به السلف هذه الصفات، السُّني إذا نفىٰ الكيفية وأوجب الإيمان بالوارد من الصفات في النصوص كان مفادُ كلامه: وجوب إثبات معنىٰ الصفة وأنه ينفي العلم بكيفيتها، فإن نفي

الكيفية عن أمرٍ لا يُعلم معناه لغوٌ من القول، هذا من المواضع النفيسة في "الفتوىٰ الحموية".

إذا نُفي العلم بمعنىٰ كلمةٍ من الكلمات (مفردة من المفردات) فهل تحتاج أن تنفي الكيفية عنها؟ لا، لأنك إذا لم تعلم المعنىٰ فيقينًا لن تعرف الكيفية، متىٰ نحتاج أن ننفي علمنا بالكيفية؟ إذا عرفنا المعنىٰ فنقول: نعرف المعنىٰ للاستواء، للنزول، لكن ننفي كيفية نزول الله، ننفي علمنا بكيفية نزول الله عز وجل، فتعرف معنىٰ الصفة؛ لهذا لا يُحتاج إلىٰ نفي الكيفية إلا عند إثبات المعنىٰ، وأرجو أن تكون هذه المسألة واضحة، يعني متىٰ الآن تنفي الكيفية عن شيء؟ إذا أثبت معناها، فتقول: أنا أثبت معنىٰ وأنفي علمي بكيفيته، فنحن نثبت أمر الجنة والنار من حيث المعنىٰ، الكيفية التي يكونون عليها فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ما تستطيع أن تعرف الكيفية، ولهذا قال الله لأهل النار لما طلبوا أن يُزاد من أضلوهم أن يُزادوا في عذابهم قال تعالىٰ: {لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ}[الأعراف:٣٨]، وهم في النار -عياذًا بالله- لا تعلمون الكيفية التي ستأتيكم مما يخالف ما ذقتم، فنحن نؤمن باليوم الآخر وما فيه، ونعرف معاني أن الجنة دار المتقين وأن فيها من الخيرات والفضل وكذا، وكذا، لكن كيفية هذا لا نعلمه، إذًا عرفنا المعنىٰ ونفينا الكيفية مع أن هذا في مخلوق؛ الجنة مخلوقة والنار مخلوقة، فرب العالمين سبحانه وتعالىٰ أعظم وأجل من أن يحاط بكيفيته

وهو الذي يُنفىٰ دائمًا في كلام السلف العلم بالكيفية، وهو الذي قاله مالك رحمه الله تعالىٰ لما سأله الرجل، قال: {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} كيف استوىٰ؟ ما قال: ما معنىٰ استوىٰ؟ وإلا لوضح؟ قال: الاستواء معلوم، معلوم المعنىٰ، ألست عربيًّا؟ حرف {عَلَىٰ} إذا جاء مع الفعل {اسْتَوَىٰ} يعني عُدِّي {اسْتَوَىٰ} بحرف {عَلَىٰ}؟

فإن معناه الارتفاع هذا معناه، لكن أنت سألت عن الكيفية: كيف استوىٰ؟ والله لا يُسأل عنه بكيف؟ ولا لماذا كما يقول أهل العلم، يقولون: الله تعالىٰ لا يقال له كيف ولا لماذا يعني لا يقال لله تعالىٰ: لماذا جعلت الصوم في شهر رمضان؟! فمن أنت حتىٰ تسأل رب العالمين سبحانه وتعالىٰ؟ فالله عز وجل في مقام أجل وأعلىٰ من أن يوجه له بكلمة: لماذا؟ وهكذا لا يقال لله عز وجل: كيف؟ الله عز وجل أجل وأعلىٰ، لما سأل عن الكيفية غضب عليه مالك؟ قال: الاستواء معلوم" يعني معلوم معناه، وفي الرواية الأخرىٰ: الاستواء غير مجهول. ما أحد يجهله من أهل اللغة واللسان العربي حتىٰ تأتي وتسأل عن معناه، وإن سألت عن معناه بيَّنَّاه لك فهو غير مجهول، الاستواء معلوم يعني معلوم المعنىٰ، والكيف مجهول، فهنا مالك رحمه الله تعالىٰ فرَّق بين المعنىٰ والكيفية، فقال: إن المعنىٰ واضحٌ والكيفية هي المجهولة (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

السؤال عن ماذا؟ عن الكيفية، فهل يُعقل أن يكون مالك الذي يقول: الاستواء معلوم، يقال: سؤالك عن هذا المعلوم بدعة؟ ومالك يروي بسنده عن السلف أنهم فسروا الاستواء وبينُوا معناه، هل مالك مضلِّل للسلف؟ فيقول لهم حين قالوا: إن {اسْتَوَىٰ} بمعنىٰ: ارتفع" إنهم ابتدعوا؟ مستحيل أن يكون هذا معناه.

إذًا الاستواء معلوم المعنىٰ، والكيفية التي الله عليها الله أجل وأعظم من أن نعرف كيفية صفته سبحانه وتعالىٰ، "والإيمان به واجب"؛ لأن الله أخبرنا به في كتابه، "والسؤال عنه" أي: عن الكيفية "بدعة". إذًا نقول: نفي الكيفية عن أمرٍ لا يُعلم معناه لغوٌ من القول؛ لأن الذي لا يُعلم معناه لا يحتاج المرء أن يقول فيه: لا أعلم في الكيفية؛ لأنه قد أفصح أنه لا يعلمه من جهة أصل معناه، وما دام كذلك فإنه لا يحتاج أن يقول: لا أعلم كُنهه وحقيقته التي الله عليها، بل يحتاج أن ينفي كيفية ما يُثبت معناه كما في الصفات بعد أن يقرِّر الإيمان بمعناها، يقول: علمي لمعناها هذا هو حدٌّ يقف عنده حيث إني لا أحيط بربي تعالىٰ علمًا؛ لأنه يقول: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[طه:١١٠].

إذًا صفاته تعالىٰ معلومة من جهة المعنىٰ مجهولة من جهة الكيفية، ويأتي إن شاء الله تعالىٰ كلام لعدد من أهل العلم في ذلك.

الأمر الثالث: مِن أظهرِ ما يجلِّي قول الإمام أحمد وقول السلف في هذه العبارة: "ولا معنىٰ" أنهم قالوا – وآمُل أن ينتبه الإخوة لهذه المسألة؛ لأن الآن تجلِيةَ المسألةِ بوضوحِ – : من أظهر ما يجلَّىٰ في قول أحمد وقول السَّلف: "ولا معنَىٰ" أنهم قالوا في الصفات أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، وقالوا نفس العبارة في رؤية الله في الآخرة، قالوا في الرؤية: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف، مع أن السلف يقررون أن الرؤية علىٰ حقيقتها وأنها بالأبصار ينصُّون هكذا يقولون: بالأبصار، ثم يقولون: الرؤية أمروها كما جاءت بلا كيف. ألستم تثبتونها بالأبصار؟ بلىٰ، لكن الكيفية التي تكون عليها الرؤية هذه لا تخوضوا فيها، فمن تأوَّل حقيقة الرؤية عند السلف فإنهم يعدونهم معطِّلة، ومن المسائل المميزة الكبيرة بين السلف وبين الجهمية إذا نفىٰ أحد الرؤية فهو جهمي مباشرة، ومع ذلك يقول السلف في الرؤية التي يثبتونها: أمروها كما جاءت بلا كيف، وجاء هذا عند عدد ورواه اللالكائي رحمه الله تعالىٰ عن عدد من السلف رحمة الله تعالىٰ عليهم.

بل أوضح من هذا كله الآن صاحب الكبيرة، أليس معلومًا حكمه عند أهل السُّنة وعند الخوارج وعند المرجئة؟ أهل السنة إذا مات شارب خمر فماذا يقولون فيه؟ يقولون كما قال الإمام أحمد في "أصول السُّنة"، وغيره، وكما يقول السلف قبله وبعده من أهل العلم: إنه تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر

له، وإنا نرجو له ونخاف عليه، يعني أهل السنة يقولون: نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء، يقول الإمام أحمد: نرجو للمحسن ونخاف عليه – هذا المحسن. ونرجو للمسيء ونخاف عليه؛ لأن هذا المسيء من أهل التوحيد.

طيب ما علاقة هذا بالموضوع؟ الإمام أحمد قال في نصوص الوعيد: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف.

أمروها كما جاءت، قال هكذا أليست مسألة صاحب الكبيرة واضحة يقول: أمروها كما جاءت؟ وقالوها في الرؤية، وقالوها في الصفات، فلو كان معنىٰ قولهم: "أمروها كما جاءت" متعلقة بالصفات أنها لا تُعرف معاني هذه الصفات لكان مصير صاحب الوعيد غير معروف، ولهذا مباشرةً حين يقول أحد: إن شارب الخمر إذا مات عليه يكون خالدًا في النار، يقول أهل السنة مباشرة: كذبت بل هو تحت المشيئة، إذًا لأهل السنة اعتقاد.

وإذا قال المرجئ: إن صاحب الكبيرة إذا لقي الله تعالىٰ لا تضره كبيرته، يقول أهل السنة كذبت، إذًا لأهل السنة اعتقاد في صاحب الوعيد. نعم لماذا قال أحمد: أمروها كما جاءت؟ لأن أمرُّوها كما جاءت لا تعني نفي المعنىٰ المعروف، وإنما أمروها كما جاءت ليبقىٰ الزجر لصاحب الوعيد، فإذا جيء عند التفصيل نقول صاحب الوعيد تحت المشيئة بلا شك، إذًا هذه العبارة قالها الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ في صاحب الوعيد، وقالها رحمه الله تعالىٰ أيضًا في

الرؤية مما يدل علىٰ أن ما فهِمه هؤلاء من كلام الإمام أحمد أنه غير صحيح من أنه ينفي المعنىٰ.

نزيد وجهًا آخر وهو من ألطف الوجوه: أن الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ لما سُئل عن حديث النزول؟ أوجب الإقرار به نزول الرب في الثلث الأخير، فلما ذُكر له تأويل من أوَّل النزول؟ قال للسائل: اسكت عن هذا ما لك ولهذا أَمضي الحديث علىٰ ما روي بلا كيف ولا حدٍّ، وتلا قول الله: {فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ}[النحل:٧٤]، ثم قال – وانتبه لما قال – : ينزل كيف شاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شيء علمًا لا يبلُغ قدره وصف واصفٍ ولا ينأىٰ عنه هرب هارب.

أرأيت الآن كيف أنه يثبت النزول ويرد علىٰ من يتأوله، وقال: ينزل كيف شاء"، فأثبتَ النزول وأن نزوله كما يشاء سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ الكيفية التي يعلمها ويحيط بها، مما يوضِّح أن أحمد يُثبت المعنىٰ وينفي الكيفية: ما نقله عنه ابنه عبد الله في "كتاب السُّنة" حيث قال: سألته عن قومٍ يقولون: لما كلم الله موسىٰ لم يتكلم بصوت، فقال: بلىٰ إن ربك عز وجل تكلم بصوت، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت، فيثبت أن الله تعالىٰ كلم موسىٰ بصوت، وأنه يروي الأحاديث كما جاءت يعني لا يُتعرض لها.

وهناك عبارات كثيرة تجدها في كتاب اللالكائي رحمه الله تعالىٰ: "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة"، ووضع سياقين اثنين في رؤية الله تعالىٰ وأنها علىٰ حقيقتها، وأنها بالأبصار، وروىٰ عن السلف من الصحابة والتابعين قطعًا بعد أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وبعد النصوص القرآنية روىٰ أنهم يُثبتون أنها بالأبصار ومع ذلك يقولون: أمِروها كما جاءت بلا كيف، فعُلم أن مراد السلف بنفي الكيفية ليس نفي أن يكون للصفة معنىٰ حقيقي كما تزعمه المفوِّضة، بل هم يثبتونها لله عز وجل علىٰ الوجه اللائق به وينفون الكيفية.

رابعًا: بأي شيء قال أحمد وقال السلف: "ولا معنىٰ" إذا كان الأمر كما قررنا؟

السبب: أن إثبات المعنىٰ الحق لهذه الصفات من المعلوم المتقرِّر عند الأمة حتىٰ ابتدع الجهمية اختراع معنىٰ لا أصل له في هذه النصوص، فأوجب السلف لزوم المعنىٰ المعروف المنقول عن السلف والكفَّ عن إحداث أي معنىٰ باطل يخالف المعنىٰ المعروف الذي ورد عن سلف الأمة ثابتًا بأسانيدَ صحيحة، فكل معنىٰ خالف ما قرر السلف في الصفات وجب إبطاله، ولهذا قالوا: ولا معنَىٰ" أي: ولا معنىٰ مما أحدثه الجهميةُ، وليس المراد: إبطال المعنىٰ المنقول عن السلف؛ لأن المعنىٰ المشهور المعروف عن السلف هذا لا يمكن أن يرده علماء السُّنة بل تلقوه بالقبول، ولهذا قال مالك: "الاستواء معلوم".

ومما يوضح لك ذلك أيضًا: هذا الأثر النادر جدًّا الوارد عن الإمام أحمد، قل أن تجد من يشير إليه للأسف، يرويه الأثرم: أن رجلًا حدَّث بحديث ((يضع الرحمن فيها قدمَه)) يعني: النار أن الله تعالىٰ يضع فيها قدمه، يقول: لما حدث بهذا الحديث كان عنده غلام، الغلام هذا غلام عربي علىٰ فطرته يفهم الكلام أن الرب عز وجل أن النار عياذًا بالله لا تزال تقول: {هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}[ق:٣٠] حتىٰ يضع الجبار فيها قدمه فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول: قطٍ قط" يعني يكفيني يكفيني، حسبي حسبي، وعزتك، فلما حدث هذا الجهمي بهذا الحديث وعنده غلام أقبل علىٰ الغلام فقال: إن لهذا تفسيرًا، فماذا قال الإمام أحمد مباشرة؟ انظر إليه كما تقول الجهمية سواءً يعني انظر الآن سيغير فطرة هذا الغلام، الغلام عربي ويسمع الحديث: أن الربَّ يضع رجله علىٰ النار فينزوي بعضها من بعض وتقول: "وعزتك، قطٍ قطٍ" يعني يكفيني، حسبي حسبي، فلما حدث بهذا الحديث وكان عنده هذا الغلام التفت إليه وقال: إن لهذا تفسيرًا، فكيف الإمام أحمد مباشرة قال إنه من الجهمية؟ لأنه سيغير المعنىٰ الظاهر الذي فهمه هذا الغلام، فأنكر عليه ما أراد من تفسير الحديث تفسيرًا يخالف ما يفهمه من ظاهره كل ذي فطرة سويةٍ حتىٰ من الغلمان، واتهمه أحمد مباشرةً بأنه يريد أن يذكر تفسير الجهمية، وإلا ما الذي يحمله علىٰ أن يقول لهذا الصبي: إن لهذا تفسيرًا؟ لولا أنه يريد أن يغير المعنىٰ المفهوم من الحديث.

مما يجلِّي لك ذلك: نصُّ السلف علىٰ أن هذا المعنىٰ الظاهر الجليَّ هو المعروف حتىٰ عند العامة من المسلمين، لكن قبل ذلك نقول: الترمذي رحمه الله تعالىٰ لما ذمَّ الجهمية حين ردوا نصوص الصفات قال في سبب ذمه لهم: ففسروها علىٰ غير ما فسر أهل العلم.

كل أحد يعرف أن الترمذي يتكلم عن تفسيرين اثنين: (تفسير السلف، وتفسير الجهمية) طيب لماذا تذم الجهمية؟ قال: لأنهم فسروها علىٰ غير ما فسر أهل العلم، وهذا ذكره في السنن رحمه الله تعالىٰ لما ذكر جملة من أحاديث الصفات، وذم الجهمية علىٰ مسلكهم قال: لأنهم فسروا هذه النصوص علىٰ غير ما فسرها أهل العلم من أهل السُّنة، فعلمنا أن أهل السنة يفسرون، وإذا قال مباشرة يقول: المفسرون، فلا يمكن أن يكونوا مفوِّضة؛ لأن المفوض لا يفسر، هذا المعنىٰ الجلي الواضح الذي يعلمه كل أحد يعرف اللسان العربي حتىٰ لو كان عاميًّا هو الذي لأجله قال يزيد بن هارون رحمه الله: من زعم أن {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} علىٰ خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي، العامي العربي إذا سمع قوله: {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} يفهم مباشرة، فإذا جاء أحد يقول: لا ليس هذا المعنىٰ فهو مباشرة جهمي، وقال ذلك القعنبي أيضًا، قال: من لا يوقن أن {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} كما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي، يعني الذي تقرر في قلوب العامة هو الظاهر، المعنىٰ الظاهر.

يقول: إذا قال: ليس هو المقصود فمباشرة هو جهمي؛ لذلك تكاثرت الآثار عن السلف في لزوم ما عليه العامة الذين كانوا في زمنهم ممن يَفهم النص علىٰ ظاهره المعروف المتقرِّر عندهم، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن الأهواء: (عليك بدينِ الأعرابي والغلام في الكِتاب والْهَ عمَّا سوىٰ ذلك).

وفي لفظ: (انظُر دينَ الأعرابيِّ والغلامِ في الكتابِ فاتَّبعه).

وقال ابن هرمز: (عليكم بدين العواتق اللاتي لا يعرفن إلا الله). العواتق يعني البنت أول ما تبلغ وتشبُّ، لأنها شبت علىٰ فطرة سوية وهي ذات لغة عربية فتتعامل مع النصوص بحسب ظاهرها البين الجلي.

وقال ابن خزيمة رحمه الله تعالىٰ: ذِكر البيان أن الله في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله، وعلىٰ لسان نبيه صلىٰ الله عليه وسلم، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجُهالهم أحرارهم ومماليكهم ذكرانهم وإناثهم بالغيهم وأطفالهم.

وهذا أمر واضح عند المسلمين أن الله تعالىٰ في السماء حتىٰ عند العامة، بل حتىٰ عند الأطفال.

وقال الدارِمي عثمان بن سعيد لما ذكر دلالة النصوص علىٰ علوِّ الله: وإنكار الجهمية لدلالة النصوص عليها قال: (فظاهر القرآن وباطنه يدل علىٰ ما وصفنا

من ذلك ونستغني فيه بالتنزيل عن التفسير)؛ لأنه واضح ما الشيء الذي تحتاج إلىٰ تفسيره؟ الذي يحتاج إلىٰ بيان مفردة من المفردات تحتاج إلىٰ بيان، أما ما هو واضح فالتنزيل مباشرةً {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ}[الفتح:٢٩] يحتاج توضيح؟ واضح أنه رسول الله الذي بعثه للناس؛ ولهذا قال: " فظاهر القرآن وباطنه يدل علىٰ ما وصفنا من ذلك ونستغني فيه بالتنزيل) يعني بنص القرآن (عن التفسير يعرفه العامة والخاصة)، إلىٰ قوله: (فهذه الأشياء التي اختصصنا في هذا الباب قد خلص علم كثير منها إلىٰ النساء والصبيان، وليس هذا من العلم الذي يُشكل علىٰ أحدٍ من العامة والخاصة إلا علىٰ هذه العصابة الملحدة في آيات الله) يعني الجهمية.

يتضح بذلك أن التفسير المنفي والمعنىٰ الذي نُهي عن إيراده هو ما قررته الجهمية، أما المعنىٰ الحق الذي يفهمه العالِم بل ويفهمه العامِّي فهذا لا يمكن أن ينكره علماء السُّنة، إذ كيف ينكرونه وهم يروونه بالسند الصحيح عن الصحابة والتابعين، بينت هذه الآثار وهذه النصوص وهذه النقولات في كتاب صغير اسمه: "حكم اعتقاد العامة عند السلف"، ورددت أيضًا علىٰ المفوضة من الأشعرية وأضرابهم مثل السبكي، والسنوسي، وأمثالهم في كتاب موجود في موقعه الذي هو الكتاب الإلكتروني، مما يُجلِّي كل ما تقدمنا أكثر، ما رواه قِوام السنة وغيره عن أبي عبيد لما ذكر أحاديث الصفات، ودقِّق يا طالب العلم في

كلام أبي عبيد، أبو عبيد رحمه الله تعالىٰ، أبو عبيد إمام كبير في العربية من طريف ما وقع نقاش بينه وبين الشافعي في القرء ما المراد بالقرء؟

فكان الشافعي يرىٰ أنه الحيض، وكان أبو عبيد رحمه الله يرىٰ أنه الطُّهر، فتناقشا واشتد نقاشهما، فتقلد الشافعي قول أبي عبيد وتقلد أبو عبيد قول الشافعي، أيهما أصح؟ أبو عبيد في نهاية المناظرة قال: ما قررته يا شافعي اتضح لي أنه هو الصواب، قال لكن الذي حصل أنني أنا الآن اقتنعت بكلامك فكل واحد منهما وهذا من نوادر المناظرات ومن دلائل الإخلاص، وقصد الإنصاف، أبو عبيد إمام كبير جدًّا ولهذا تجد كلام أبي عبيد كثيرًا في صحيح البخاري وينقل عن البخاري كثيرًا معاني الصفات، معاني الكلمات في الأحاديث سواء أكانت في الصفات أو في غيرها، أبو عبيد رحمه الله تعالىٰ روىٰ عنه قِوام السنة لما ذكر أحاديث الصفات قال: هذه أحاديث صِحاح حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا شك فيه، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمَه؟ يعني حديث أن الله يضع قدمَه. يعني كيف وضع قدمه؟ قيل: إذا قيل: كيف؟ كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا نفسِّرها، لا نفسرها ولا سمعنا أحدًا يفسرها، الكيفية إذا وُجد من يقول: كيف وضع قدمه؟ يقول: هذه لا نفسرها ولا نعلم أحدًا من السلف يفسرها، فنقف علىٰ أن المنهي عنه هو تفسير الكيفية.

أيضًا مما ورد عن السلف رحمهم الله تعالىٰ وله ارتباط كبير بما نحن فيه: قول شَريك أنا قلت أنه قول وكيع ولكنه قول شريك الذي رواه اللالكائي، قال: "إنما جاءنا بهذه الأحاديث" يعني أحاديث الصفات – "من جاءنا بالسُّنن عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الصلاة والصيام والزكاة والحج". يعني كيف تقبلون الأحاديث الواردة في الصوم والزكاة والحج وتردون الأحاديث الواردة في صفات الله مع أن الذين رووا هذه الأحاديث هم الذين رووا هذه الأحاديث، قال: إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسُّنن عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث؛ لأن هذه الأحاديث تُعرفك ربَّك سبحانه وتعالىٰ، فإذا تعرض لها أحدٌ بالطعن، وأن معناها غير واضح وأنها لا يُعرف مجرد معناها نقول: هي التي عرفتنا بالله أصلاً، يقول شَريك: عرفنا الله بهذه الصفات، فهذه الصفات والأحاديث التي عرفنا بها الله عز وجل هي لا معنىٰ لها، كيف نعرف الله عز وجل وهي لا معنىٰ لها؟ ! نقول: عرفنا الله بهذه الصفات.

نختم بكلام قِوام السنة الأصبِهاني رحمه الله:

وقوام السنة الأصبهاني رحمه الله تعالىٰ من خيار الشافعية رحمه الله تعالىٰ وهو سيد الشافعية في زمانه، وكان شديدًا علىٰ الأشاعرة؛ لأنهم يقولون كل شافعي أشعري، كذبتم كيف كل شافعي أشعري؟! ما علاقة الشافعي

بالأشعري؟ الشافعي قبل الأشعري بمُددٍ، وعددٌ من أئمةِ الشافعية رحمهم الله أنكروا علىٰ الأشعري وعلىٰ الأشعرية، ومنهم الإمام الجليل قِوَام وليس قَوَّام السنة بعضهم يسميه: "قَوَّام" حتىٰ في الكتاب مكتوب: "قَوَّام" السُّنة، ما يقومُها أحد هي التي تقوم الناس اسمه: "قِوَام" يعني لُقب بقِوام السُّنة الأصبهاني.

الشافعي رحمه الله تعالىٰ، نختم بكلامه رحمه الله هذا الموضع الذي طال لكن حتىٰ يتضح أهمُّ موضعين في "اللُّمعة" بحاجةٍ إلىٰ بيان.

قال رحمه الله تعالىٰ: [فصل]

قال أهل السنة: "الإيمان بقوله تعالىٰ: {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} واجب، والخوض فيه بالتأويل بدعة، قالوا: وهو من الآيات المتشابهات" - وانتبه لكلمة: المتشابهات كيف سيأتي توضحيها-.

"التي ذكرها الله في كتابه وردَّ علمَ تأويلها" يعني علم تفسيرها "إلىٰ نفسه، وقال:{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[آل عمران:٧]. وهذا الكلام مثل كلام من؟ مثل كلام ابن قدامة رحمه الله وهو قبل ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ.

"فأوجب الإيمان بقوله: {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} بالآيات التي توارع هذه الآية ومدح الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بمثل هذه الآيات ولا يخوضون – لاحظ – في علم كيفيتها".

هذا معنىٰ قوله: ولاحظ أول الكلام هذا قد يفرح به المفوضة، لكن عاد وبينه ووضحه، ولذلك قلنا: كلام العالم يُرد بعضه إلىٰ بعض.

"ولا يخوضون في علم الكيفية، ولهذا قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول"، ثم تكلم عن الاستواء وأن الاستواء تقول العرب: استوىٰ الشيء إذا كان معوجًا فذهب عِوجه، ومنه الاستواء بمعنىٰ المماثلة والمشابهة، ومنه الاستواء بمعنىٰ القصد، يعني لا يزال يتكلم عنه من الناحية اللغوية، ثم قال: ما نصه، قال أهل السنة: الاستواء هو العلو، قال الله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ الْفُلْكِ} [المؤمنون:٢٨]، وليس للاستواء في كلام العرب معنًىٰ إلا ما ذكرنا، وإذا لم يجز الأوجه الثلاثة التي ذكرها لم يبق إلا الاستواء الذي هو – لاحظ كلامه – لم يبق إلا الاستواء الذي هو معلوم كونه مجهول كيفيته".

يعني: معلوم معناه وكونه حقًّا ومجهول كيفيته. "واستواء نوح علىٰ السفينة معلوم كونه معلوم كيفيته" ، واستواء نوح {وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ} [هود:٤٤] "معلوم كونه معلوم كيفيته؛ لأنه صفة له" أي: لنوح، وصفات المخلوقين معلومة كيفيتها، واستواء الله علىٰ العرش غير معلوم كيفيته"؛ لأن المخلوق لا

يعلم كيفية صفات الخالق؛ لأنه غيب فثبت، وختم بالعبارة العظيمة هذه: "فثبت أن الاستواء معلوم والمعلومُ بكيفيته معدومٌ". معدوم بالدال من العدم. "فعلمه موكول إلىٰ الله، كما قال: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ}[آل عمران:٧].

وكذلك القول فيما يضارع هذه الصفات مثل قوله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}[ص:٧٥]، وقوله: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ}[الرحمن:٢٧]، وحديث: «حتىٰ يضع الجبار فيها قدمه»، وحديث: «يضع السماوات علىٰ إصبع والأراضين علىٰ إصبع»، وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبره متدبرٌ ولم يتعصَّب بان له صحة ذلك وأن الإيمان به واجب وأن البحث عن كيفية ذلك باطل.

كلام كأنه الشمس في الوضوح أن المنفي هو الكيفية، وأما المعنىٰ فإنه معلوم، يقول: أما العبد فاستواؤه معلوم معناه ومعلومة كيفيته، {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود:٤٤] سفينة نوح، يقول: هذا مخلوق نعلم المعنىٰ ونعلم الكيفية، أما استواء الله فأعطاك المعاني الثلاثة لكلمة: "استوىٰ"، ثم قال: "إن استواء الله معلوم كونه" يعني: معلوم أنه حق مفهوم المعنىٰ مجهول كيفيته، هذا هو الذي لا شك فيه وأنه هو المراد، وأن السلف رحمهم الله تعالىٰ إذا تكلموا عن نفي المعنىٰ أو عن نفي التفسير فإن مرادَهم نفي التفسير المُحدث الذي أحدثته الجهمية كما وضَّح ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ في "الفتوىٰ الحموية"؛ لأنهم أحدثوا تفسيرًا كما قال الترمذي: ففسروا بغير تفسير السلف.

أما إذا قال قائل: لا السلف لا يفسرون ومذهبهم هو التفويض؟ نقول: إن كنت صادقًا فنأتي في تفسير ابن أبي حاتم يروي بالسند، ابن جرير ونأتيك بكتب الاعتقاد المُسندة كتاب: "اللالكائي"، كتاب: "الآجري"، وننظر نحن وإياك بهدوء وراحة، فسَّروا {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أو لا؟ فسره ابن عباس ... في قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} انظر الآن تفسير ابن عباس حتىٰ قوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}[الناس: ١]، كلها تفاسير من أول الفاتحة إلىٰ سورة الناس، فكيف تقول: إن مذهب السلف هو التفويض؟ التفويض ما معناه عندك؟ قال: أن لا أتعرض لها بتفسير، لماذا فسروا؟ فسروا التفسير الصحيح، هل فسر النبي صلىٰ الله عليه وسلم؟ فسر النبي صلىٰ الله عليه وسلم الصفات بنفسه للصحابة رضي الله عنهم.

إذًا قولهم: "بلا تفسير" كلمة فيها إجمال، وهكذا قولهم: "بلا معنىٰ" كلمة فيها إجمال، إذا علمت الوضع الذي نشأت فيه الجهمية وأنهم أنشئوا تفسيرًا محدَثًا، وأن السلف أنكروه؛ وأن الإمام أحمد مباشرةً لما قال الجهميُّ للغلام: إن لهذا الحديث تفسيرًا"، فورًا قال الإمام أحمد: هذا جَهمي". فكيف تحكم بينهم فقد يُفسر تفسيرًا صحيحًا؟ يقول: أبدًا، لأنه لو كان سيفسر التفسير الصحيح لأبقىٰ الغلام العربي الذي يفهم اللفظ علىٰ ظاهره وأبقاه، وما التفت إلىٰ القائل إن لهذا تفسيرًا، فمُجمل هذا الكلام يعني اليوم الحقيقة أنها أشبه ما

تكون بمحاضرة يعني كأنها محاضرة في الأسماء والصفات متعلقة بهذه المقدمة حتىٰ يُعلم أن ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ؛ لأن بعض أهل العلم الأفاضل قالوا إن هذه الكلمة يعني الشيخ محمد بن إبراهيم علىٰ جلالة قدره قال: إن هذه الكلمة من ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ فيها يعني شيء من مقالة المفوِّضة ثم قال: وهو من أبعد الناس عن القول بهذا. يعني كأنه يقول: إنها زلة لسان وهذا واقع أن الأمر كما رأيت وأن هذه الكلمة من ابن قدامة رحمه الله تعالىٰ لها نظائر في كلام الإمام أحمد، ولها نظائر في كلام السلف، وإذا رُد الكلام بعضه إلىٰ بعض اتضح وتجلىٰ وتبين مرادهم بهذا، ولهذا -الحقيقة- من أجلِّ من وضح هذه المسألة الإمام ابن تيمية رحمة الله تعالىٰ عليه، وهناك رسالة عظيمة جدًا اسمها: "المُراكشية" نسبة إلىٰ بلد في المغرب من أوضح الرسائل التي يعني من أوسع ما تعرض ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في هذه المسألة من عدة وجوه جلية واضحة رحمه الله، وكذلك ابن القيم في "الصواعق المُرسلة" بما يتبين به ما يتبين به أن هذه المقالات التي يأخذها أهل البدع مثل كلمة: بلا معنىٰ، بلا تفسير، ونحو ذلك، ثم يقولون: هذه دالة علىٰ التفويض وأنها من أدل الأدلة علىٰ بطلان ما يقول هذا أبو يوسف رحمه الله تعالىٰ الذي قال: بلا تفسير، صاحبه لما أوتي له برجل بجهم من الجهمية حبسه القاضي وكان قاضيًا صاحب أبي يوسف، أبو يوسف رحمه الله كان قاضيًا لكن هذا صاحبه نسيت الآن اسمه حبس أحد

الجهمية؛ لأنه أنكر أن الله في السماء، فقالوا له: إنه قد تاب، فقال: ائتوا به، فلما أتوا به قال الحمد لله علىٰ التوبة، تُقرُّ أن الله تعالىٰ في السماء بائنٌ من خلقه؟

قال: أُقر أن الله في السماء، ولا أدري ما بائن من خلقه، قال: ردوه إلىٰ السجن فإنه لم يتب.

يقول: ما دام لا يُقر أن الله بائن من خلقه فهو جهمي ولا يزال علىٰ جهميته، فالحاصل: أن هذه النصوص وهذه الكلمات ينبغي أن يُجمع بعضُها إلىٰ بعض، وأن يفسَّر كلام العامة بعضه إلىٰ بعض، ولهذا رجعنا إلىٰ كتاب: "ذمّ التأويل" ولكتاب "إثبات العُلو" لابن قدامة رحمه الله تعالىٰ فتجلىٰ مراده رحمه الله تعالىٰ بهذا، فالعلماء قد يكون في أثناء كلامهم شيء من الإطلاقات التي يعني يجدُ صاحب الهوىٰ وصاحب الباطل فيها مدخلًا، وهذا وجدوه وبيَّنه الله تعالىٰ حتىٰ في كلامه {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}[آل عمران:٧].

قال أهل العلم: من حكمة الله عز وجل في وجود الآيات المتشابهات ماذا؟ أن يتبين أهل الزيغ صاحب الزَّيغ مباشرة يتجه إلىٰ المتشابه ويترك المحكم ... واضح شيء مباشرة ..

ولذلك قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما قرأ الآية قال: ((فأولئك الذين سمىٰ الله فاحذروهم)) إذا رأيت إنسان يتبع المتشابه ويترك النصوص العظيمة

الواردة محكمة بينة جلية لأجل نصٍّ متشابه إذا رُد إلىٰ المحكم تبين، لكن يستمسك بهذا المتشابه ويترك المحكم، فهذا دال علىٰ أنه من أهل الزيغ، {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ}[آل عمران:٧] هم الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، فالحاصل: أن هذا فيه إن شاء الله تعالىٰ ما يُجلِّي كلام هؤلاء الأئمة رحمهم الله. نعم.

[كلام الإمام محمد بن إدريس الشافعي في الصفات]

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله، علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله.

[كلام السلف وأئمة الخلف في الصفات]

وعلىٰ هذا درجَ السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون علىٰ الإقرار والإمْرار والإثبات؛ لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم من غير تعرُّض لتأويله.

نعم، كلام الإمام الشافعي رحمه الله أيضًا جلي أننا نؤمن بالله وبما جاء عن الله علىٰ المراد الذي أراده الله، وهل مراد الله بَيِّن؟ نعم بينته نصوص القرآن، بينه النبي صلىٰ الله عليه وسلم، بينه الصحابة رضي الله عنهم، فبينوا لنا مراد الله،

وآمنت برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وبما جاء عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ مراد رسول الله.

وقد أجاد في شرح هذا الأثر شيخ الإسلام في الرسالة المدنية؛ لأن أيضًا أهل التفويض يستدلون به، وبَيَّن أن كلام الشافعي رحمه الله لا شك فيه ولا ريب، نعم نؤمن بما جاء عن الله علىٰ مرادِ الله، أجل، نؤمن به علىٰ مراد الله، وهل مراد الله بَيِّن؟ نعم، بَيَّن الله تعالىٰ مرادَه في كتابه وبينه رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وبينته الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم؛ ولهذا جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما ذكر ضحك الله، قال صحابي يا رسول الله: أويضحك ربنا؟! قال: نعم، قال: لن نعدم خيرًا من رب يضحك".

وما أنكر عليه قال نعم لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ركب مرة علىٰ دابة فضحك، فقال: ألا تسألوني لم ضحكت، فسألوه؟ فقال: من ضحك الرب سبحانه وتعالىٰ.

فهذه الصفات في أصلها واضحة المعنىٰ، فإذا جئنا للكيفية لا الكيفية كيفية صفات الله عز وجل خاصة به تعالىٰ، أما معناه؟ معناه أن الصحابي مباشرة قال: لن نعدم خيرًا من رب يضحك". هذا الرب الجبار الذي قد أحاط بكل شيء علمًا {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم:٩٣]، الجميع عبيد عنده، يضحك، قال: إذًا لن نعدم من رب يضحك خيرًا.

فالحاصل: أن هذه الصفات بينة جليَّة المعنىٰ وهذا الذي درج عليه السلف رضي الله عنهم، أما أمر التأويل الذي هو التحريف، تحريف معناه فلا شك أنه إنما أتىٰ علىٰ يد الجهمية ومن شابههم. نعم.

وقد أُمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

لا شك أن هذه الفرق الضالة كلها من المحدثات، وأنها مجموعة من البدع والضلالات: من جهمية، من معتزلة، من مرجئة، من كُلابية، وما تفرع عنها من أشعرية وماتريدية وأمثالها لا شك أنها محدثة، ولهذا تجدونها جاءت بعد الصحابة رضي الله عنهم، يعني البدع الكبار وُجدت في زمن كبار الصحابة رضي الله عنهم؛ وُجد بدعتان:

- بدعة الخوارج، وبدعة الشيعة.

في وقت واحد في زمن كبار الصحابة رضي الله عنهم، وعُلم ما فعل علي رضي الله عنه بالخوارج وما فعل بالرافضة أيضًا الذين قالوا: إنك ربنا فأباد الخوارج في النهراوان وغيرها وأباد الذين قالوا بهذا القول الخبيث فيه مما تقوله

الشيعة الآن عن علي رضي الله عنه، لاحظ الآن مجموعة من الشيعة يقولون: ربنا هو علي، وبصريح العبارة: الذي خلقنا هو علي، بهذا الشكل بهذه العبارة الصريحة والذي نادىٰ {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ}[الأعراف:١٧٢]؟ هو علي نسأل الله العافية!، نفس مقالة السبأية السابقة وهم الذين لم يرض عليٌّ أن يقتلهم بالسيف، بل أحرقهم حرقًا رضي الله عنه وأرضاه كما في صحيح البخاري أنه أحرقهم حرقًا.

وكذلك البدع التي نشأت، ولهذا إذا قيل للمعتزلة: من رأسكم؟ قالوا: واسط، الجهمية من رأسكم؟ قالوا: الجهم، الماتريدية من رأسكم؟ أبو منصور، الأشعرية من رأسكم؟ أبو الحسن، هؤلاء متىٰ كانوا؟ كلهم جاءوا جميعًا بعد زمن الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، ومثل الأشعرية والماتريدية أصلًا أتت بعد الصحابة والتابعين وأتباع التابعين فهم نشئوا أصلًا بعد القرون المفضلة الثلاثة، كيف تعامل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وأهل العلم مع هذه البدع؟ تعاملوا معها التعامل الصارم الشديد حتىٰ يوضحوا للأمة أنها ضلالات ملونة ومنوعة، ولهذا قال الأوزاعي أو غيره من السلف رحمهم الله: للشيطان محجتان" يعني: طريقان – "لا يبالي أيهما سلك العبد: إفراط أو تفريط"، لا يهم الشيطان أن تكون خارجي أو أن تكون رافضي! كله سواء عنده المهم أن تزلَّ عن الصراط المستقيم، الذي قال عدو الله: {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَـــاكِرِينَ}[الأعراف:١٧]، فتجد ألوانًا وأنواعًا من البدع والضـــلالات والزيغ هذا تصوف، هذا تشيع، هذا خوارج، هذا اعتزال، هذه أشعرية، هذه ماتريدية تزيل عنه {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}[الأعراف:١٦]، والصراط المستقيم بإجماع من؟ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هو صراط رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، هذه هي البدع والضلالات هل هي علىٰ صراط رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟ تسقط بكلمة واحدة، كل هذه البدع أصحابها هم أجهل الناس بسُنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولا سيما الذين أسسوها الذين -لاحظ الفِرَق هذه- قد يوجدُ في أتباعهم من يكون معتنيًا بالحديث، لكن هات الرؤوس التي أنشـــأت البدعة وتبعتموهم، يعرفون الحديث؟ من أجهل خلق الله بالحديث لا يفرِّقون بين الحديث الصحيح والموضوع، بل لا يفرقون بين الأخبار الإسرائيلية وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، فهم جَهلة بهدي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبسُنته؛ لذلك تكاثر عندهم هذا الضلال، ومع ذلك تجد من يدَّعي أنهم علىٰ الحق وأنهم من الفرقة الناجية بل ويدعون أنهم هم أهل الســـنة، مع أنهم لم ينشئوا إلا بعد الصحابة والتابعين بفترةٍ طويلة، لا الأشعرية مثلاً ولا الماتردية الذين يدَّعون أنهم هم أهل السنة، نشئوا كلهم في القرن الثالث؛ لا أبو منصور ولا أبو الحسن، كلاهما في القرن الثالث، ومع ذلك اجتمعوا في الشيشان قبل سنوات وقالوا إن أهل الســـنة هم الأشـــعرية والماتردية، فرد عليهم كل العلماء وقالوا

الصحابة بذلك خرجوا عن مسمىٰ أهل السنة، وكذلك التابعون لأن صاحبكم أبا منصور وصاحبكم أبا الحسن كلهم بعد الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، فكان هذا من عمَىٰ البصيرة الذي وقعوا فيه ولله الحمد حين ادعوا ما ادعوا، ثم تراجعوا وصار كل واحد منهم يتنصَّل من هذا البيان يقول: لا أنا ما كنت أقصد، أنا ما كنت حاضرًا، يعني كيف تُخرج الصحابة والتابعين من أهل السُّنة؟!

أهل السنة رأسهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، فكيف تقول: إن الأشعرية والماتردية هم أهل السنة وأنت تعلم أنهم إنما نشئوا بعد الصحابة وبعد التابعين؟! ولهذا كان أبو محمد المقدسي رحمه الله شديد الغضب علىٰ الأشعرية، الأشعرية من أكثر الفرق ذات الدعاوىٰ يقولون لك: المسلمون خمسة وتسعون في المائة أشعرية، أين أحصيت خمسة وتسعين؟ أكثر المسلمين لا يعرفون مذهب الأشعرية والماتردية، ولا يدرون بتفاصيله، لو يُسأل من يعيشون في تلك البلدان {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} هل الله يستوي علىٰ العرش؟ نقول: نعم، كيف الله يقول: {علىٰ العرش استوىٰ} تقول كيف! لكن ما معنىٰ {استوىٰ}؟ معناها: استولىٰ! ما يعرفون مثل هذه الأمور، فعامة المسلمين في العموم المُجمل هم علىٰ ما يسمعون من القرآن والسنة.

فالحاصل أن هذه البدع والضلالات مهما نشأت ومهما تلونت ومهما تمسكت وادعت لزوم مذهب السلف ومنهم الغلاة الذين الآن صاروا فتنة لكل

مفتون يدعون أنهم علىٰ طريقة السلف، بل أنهم علىٰ طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنهم علىٰ طريقة أحمد وابن تيمية وهم أبعد ما يكونون عنهم، كل هذه دعاوىٰ، والأمور إنما تُثبت بالعلم النافع المبني علىٰ ما في النصوص وعلىٰ ما أقرَّه أهل السنة والجماعة بدءًا من الصحابة والتابعين ومن سلك علىٰ أثرهم. نعم.

[كلام عبد الله بن مسعود وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما في الصفات]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلامًا معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذ كفُّوا، ولهم علىٰ كشفها كانوا أقوىٰ، وبالفضل لو كان فيها أحرىٰ، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديَهم ورغِب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم مُحسِّر، وما دونهم مقصِّر. لقد قصر عنهم قوم فجفَوْا وتجاوزهم آخرون فغَلَوْا وإنهم فيما بين ذلك لعلىٰ هُدىٰ مستقيم.

[كلام الإمام أبي عمر الأوزاعي في الصفات وردُّ الأدْرَمي علىٰ رجلٍ تكلم ببدعة]

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رضي الله عنه: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول.

ذكر هذه الآثار عن السلف كلها في تقرير لزوم ما عليه السلف، وأن الله نهانا عن الابتداع، وأننا قد كُفينا أصلاً ولسنا بحاجة إلىٰ أن نبتدع، الله تعالىٰ أكمل لنا الدين، والنبي صلىٰ الله عليه وسلم بَين وبلغ البلاغ المبين، ولهذا كلام عمر بن عبد العزيز كلام عظيم يعني يطول المقام الحقيقة في شرحه وأنا أقول: قف حيث وقف القوم يعني السلف من قبلك، فإنهم حين وقفوا فإنما وقفوا عن علم لأن الإنسان قد يقف عن الجهل لكنهم وقفوا عن علم حين لم يخوضوا في البدع والضلالات وقفوا عن علم، وببصر نافذ، كفوا وهم علىٰ كشف هذه الضلالات كانوا أقوىٰ، وبالفضل لو كان في الدخول فيها فضل كانوا أحرىٰ.

ثم ذكر ما يتعلق بالإحداث الذي وقع بعدهم، وأن السلف بعد السلف إما مقصرٌ جافٍ وإما غالٍ تجاوز حده، لكن الحقيقة بقيت كلمة عظيمة في كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وهو جاء بها ربما من الخطيب في شرح أصحاب الحديث، لكنها في أبي داود في السنة، قال: "فإن قلت" يعني عمر بن عبد العزيز يقول فإن قلت أين آية كذا؟ يعني جاء أحد يستدل يقول: هذه البدعة أنا عندي عليها دليل، فإن قلت: أين آية كذا؟ فقد قرؤوا منه ما قرأتم وعلموا منه ما جهلتم.

يقول: إذا قلت: أنا عندي آية تدل علىٰ ما أُقرره من بدعة، فهذه الآية ألم يقرؤوها قبلك؟ قرؤوها قبلك، لكن ما الفرق؟ الفرق أنهم علِموا الذي جهلته أنت، فأنت الجاهل وليس هم، وهذه الحقيقة الآثار عظيمة وعزيزة وينبغي أن تُنشـــر وتُبث في الناس من كلام أبي عمرو وكلام عمر بن عبد العزيز وكلام ابن مسعود ونظائرها كثيرة. نعم.

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدْرَمِي لرجلٍ تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علِمها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال لم يعلموها، قال: فشـــيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوَسِـــعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلىٰ وسعهم، قال فشيء وسِع رسولَ الله صلىٰ الله عليه وســـلم وخلفاءه لا يســـعك أنت؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة – وكان حاضرًا –: لا وسَّع الله علىٰ من لم يسعه ما وسعهم.

هذا الخبر جاء عن عبد الرحمن بن محمد الأدْرمي رحمه الله تعالىٰ في فتنة القول بخلْق القرآن، والمناظر له هو رأس الجهمية أحمد بن أبي دؤاد، والذي كانت المناظرة بين يديه هو الواثق الخليفة العباســـي، فناظر ابنَ أبي دؤاد وقال الأدرمي: يا أمير المؤمنين هو يقصُـــر عن مناظرتي، فغضـــب الخليفة قال– (هو

قاضي الخلافة كلها ابن أبي دؤاد عياذًا بالله في وقته يعني استولىٰ علىٰ قلوب بني العباس الثلاثة فظنوه علىٰ حدٍّ من العلم وهو عدو لله عز وجل، وهو رأس الجهمية، وهو الذي امتحن الإمام أحمد وغيره)، فيقول الأدرمي رحمه الله تعالىٰ وهو دون ذلك لا يستطيع أن يناظر فغضب- قال أبو عبد الله يعجزُ عن مناظرتك؟! فبدؤوا في المناظرة، قال لابن أبي دؤاد هذه المقالة الذي امتحنت الناس عليها علمها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، أو لم يعلموها؟ فلجهله وقلة فهمه قال: لم يعلموها. قال: شيء لم يعلمه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي وتعلمه أنت؟!، قال: أقلني والمناظرة علىٰ بابي، يعني أعود فأنا الآن أخطأت، فقال: قال: فإني أقول قد علمت، قال: أوسِعهم أن لا يتكلموا بها؟

يعني ساغ لهم شرعًا أن لا يتكلموا بها أو لا يجوز، يعني فرطوا؟ قال: فوسعهم. قال: شيء وسع رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت لا وسع الله علىٰ من لم يسعه ما وسع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال الخليفة: لا وسع الله علىٰ من لم يسعه ما وسِع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. نعم.

وهكذا من لم يسعْه ما وسِع رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابَه والتابعين لهم بإحسان والأئمةَ من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوةِ آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه.

[ذكرُ بعض الآيات والأحاديث الواردة في الصفات]

الآن إذا عرفت المنهج الذي عليه السلف الصالح رضي الله عنهم من إثبات ما أثبت الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ المعنىٰ اللائق بالله وعظمته، وأنه لا يُتعرض له بتكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، وأنه لا يُرد، فجميع النصوص التي تكون مما سيذكره ومما لا يذكره قد عرفنا القاعدة فيها: أننا نقرها علىٰ المعنىٰ اللائق بالله عز وجل ولا نتعرض لها بردٍّ ولا نشبهها بصفات المخلوقين، فمهما كان من النصوص التي تمر عليك في كتاب الله عز وجل فعندك المنهج الذي تسير عليه. نعم.

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عز وجل: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] وقوله سبحانه وتعالىٰ: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] وقوله تعالىٰ إخبارًا عن عيسىٰ عليه السلام أنه قال: {تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦] وقوله سبحانه: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢] وقوله تعالىٰ: {هَلْ يَنْظُرُونَ

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ} [البقرة: ٢١٠] وقوله تعالىٰ: {رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩] وقوله تعالىٰ: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤] وقوله تعالىٰ في الكفار: {وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٦] وقوله تعالىٰ: {اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ} [محمد: ٢٨] وقوله تعالىٰ: {كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ} [التوبة: ٤٦].

نعم، ذَكر لك هذه النصوص مثلما قلنا وعندك الآن القاعدة: أن النصوص سواء جاءت في القرآن أو في السنة، فالقاعدة فيها كما ذكرنا. نعم.

ومن السنة، قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ينزلُ ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا» وقوله: «يعجب ربك من الشابِّ ليست له صبوة» وقوله: «يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة» فهذا وما أشبهه ...

يعني قتل أحدهما الآخر" يعني كان هذا مسلمًا وهذا كافرًا، فقتل الكافر المسلم، ثم منَّ الله علىٰ الكافر فدخل في الإسلام لاحقًا فاستُشهد كما استُشهد أخوه الذي قتله فيجمعهما الله عز وجل فيلتقي القاتل والمقتول كلاهما شهيدان، فيضحك الله عز وجل إلىٰ هذين: هذا قُتل في سبيل الله وهذا قُتل في سبيل الله. نعم.

فهذا وما أشبهه مما صح سندُه وعُدِّلت رواتُه، نؤمن به، ولا نردُّه ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهرَه، ولا نشبِّهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدَثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ لا شبيه له ولا نظير {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورىٰ: ١١] وكل ما تُخيِّل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالىٰ بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه: ٥] ...

عاد بعد ذلك لتقرير المسألة من جديد فإن هذا مما سمعت من النصوص وما صح سنده وعُدِّلت رواته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويلٍ يخالف ظاهره" عاد من جديد للتأكيد علىٰ الظاهر، ثم نهىٰ عن التشبيه وعن غيره، ثم قال: وكل ما تُخيل في الذهن" يعني لا يجوز قطعًا أن يتخيل الله سبحانه وتعالىٰ عياذًا بالله، ما يجوز، التفكر في الله محرم (تفكروا في آلاء الله – في خلق الله – ولا تفكروا في الله)، فالله تعالىٰ لا يجوز التفكر فيه لأن الله سبحانه وتعالىٰ لا يمكن أن يُعلم بفكرٍ ولا بتوهم، وكل ما تُخيل في الذهن مع ذلك لو أن أحدًا عياذًا بالله فعل هذا نقول كل ما تخيلته أو خطر ببالك فالله بخلافه، لماذا؟ لأن الله ليس كمثله شيء، ثم أورد الآية المتعلقة بالاستواء {الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}، طيب واصل نهاية هذه حتىٰ نختم ..

وقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ربنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمك»، «وقال للجارية: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: أعتقها فإنها مؤمنة» رواه مسلم، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة. وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لحصين: «كم إلهًا تعبد؟ قال سبعة، ستةً في الأرض وواحدًا في السماء. قال: من لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي في السماء، قال فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلِّمك دعوتين، فأسلم، وعلمه النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يقول: " اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي».

وفيما نُقل من علامات النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء.

يزعمون: هنا الزَّعم كثيرًا ما يُطلق علىٰ سبيل الذمِّ، لكن يُطلق الزعمُ بمعنىٰ: القول، فينبغي أن نلاحظ هذا، ولهذا أبو هريرة تجده يقول: هكذا أزعُم" يعني: أقول، بل جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «هكذا زعم جبريل»، يعني: هكذا قال جبريل، الغالب: أن الزَّعم تطلق علىٰ كما قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «بئس مطية الرجل زعموا»، لكن قد يُطلق الزعم علىٰ القول العادي، فهذا منه "يزعمون" أي: يقولون إن إلههم في السماء. نعم.

وروىٰ أبو داود في سننه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: «إن ما بين سماءٍ إلىٰ سماءٍ مسيرة كذا وكذا...». وذكر الخبر إلىٰ قوله: «وفوق ذلك العرش، والله

سـبحانه فوق ذلك»، فهذا وما أشـبهه مما أجمع السـلف رحمهم الله علىٰ نقله وقَبوله، ولم يتعرضوا لردِّه ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

{بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ:

سُئل الإمامُ مالك بنُ أنسٍ رحمه الله، فقيل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كيف استوىٰ؟ فقال: الاستواءُ غيرُ مجهول، والكيفُ غير معقولٍ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ. ثم أَمَر بالرجل فأُخرج}.

بسم الله، تقدم ذكرُ هذا الأثر، وهو أثر ثابت عن مالك رحمه الله، وله أكثر من لفظ، من ألفاظه أنه قال: "الاستواء غيرُ مجهول لا يجهله أحدٌ يَفهم العربية".

وفي لفظ ثانٍ: "الاستواء معلوم". يعني معلومٌ معناه.

"والكيْف غير مجهول"، وفي لفظ المعنىٰ هذا؛ أي غير معقول، لا يمكن أن يُعرف لا بعقل ولا بوهم، "والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"، وإنما أمر به فأُخرج"؛ لأن السؤال عن الكيفية ابتداع وضلال. جاء في بعض الروايات أن الرجل قال: والله لقد سألتُ عن هذا كذا وكذا. يعني من الناس. فما أجابني أحد كما أجبتَ. فصار مالك في قوله في لفظ آخر: "وما أُراك إلا رجلَ سُوء". يعني كان يمضي بين الناس ويسأل هذا السؤال؛ ولهذا أمر أن يخرج من المسجد؛

لأنه لا يسأل استفهامًا ويسأل عما لا يجوز السؤال عنه مما لا يحيط به إلا الله من الكيفية.

[فصل]

[ومن صفات الله تعالىٰ أنه متكلِّم بكلام قديم]

ومن صفات الله تعالىٰ أنه متكلِّم بكلام قديم يَسمَعه منه من شاء من خلقه؛ سمعه موسىٰ عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذِن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلِّم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذَن لهم فيزورونه، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال سبحانه: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًىٰ﴾ [طه: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وغيرُ جائزٍ أن يقول هذا أحدٌ غيرُ الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إذا تكلمَ الله بالوحي سمع صوتَه أهلُ السماء"، روَىٰ ذلك عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وروىٰ عبد الله بن

أُنيسٍ عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «يَحشر الله الخلائقَ يوم القيامة عُراةً حفاةً غُرلاً بُهمًا فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قَرب: أنا الملك أنا الدَّيان»، رواه الأئمة واستشهد به البخاري، وفي بعض الآثار أن موسىٰ عليه السلام ليلةَ رأىٰ النار فهالتْه ففزِع منها فناداه ربه: يا موسىٰ، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرىٰ مكانَك، فأين أنت؟ فقال: "أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك"، فعَلِم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالىٰ. قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامَكَ أسمع، أم كلام رسولِك؟ قال: "بل كلامي يا موسىٰ".

ذكر رحمه الله تعالىٰ صفة الكلام، وصفة الكلام ثابتةٌ لله عز وجل، وكل هذه الشرائع تكلم الله عز وجل بما شاء من أوامره ونواهيه وهي منسوبةٌ لله، والقرآن كلام الله؛ لأن الله تعالىٰ تكلم به ابتداءً سبحانه وتعالىٰ، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾[التوبة:٦]، والمقصود بكلام الله: ﴿القرآن﴾، ولم يكن عند المسلمين أدنىٰ تشكُّك في أن القرآن كلامُ الله، وهل يوجد عاقل يقول: إن القرآن ليس كلام الله؟! ما في أحد إلا إذا كافرًا، والكافر كالأنعام كما قال تعالىٰ، لكن أن يوجد مسلم يشهد الشهادتين ويقول القرآن ليس كلام الله؟ فهذا من العجائب!!

ولهذا قال السلف: إن قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ دليلٌ علىٰ ماذا؟ ممن يسمع؟ الكلام في القرآن المذاهب الضالة فيه كثيرة في الحقيقة، فنشأت بدعة القول في القرآن قديمًا علىٰ يدِ الجَعْد بن درهم، والجعْد بن دِرهم: هو شيخ الجَهْم بن صَفْوان صاحب الفرقة الضالة الجهمية، وزعم أن الله لم يكلم موسىٰ ولم يتخذ إبراهيم خليلاً وكان ينفي الصفات، وكان هذا في زمن متقدم في القرن الأول فلم يُطق الناس إلا قتله وقُتل وأقرَّ أهل العلم قتله علىٰ هذا.

قال اللَّالكائي رحمه الله تعالىٰ: أجمعت الأمةُ علىٰ أن أول من قال: (القرآن مخلوق هو الجَعْدُ بن دِرهم). الجعدُ بن درهم هو شيخٌ للجَهم بن صَفوان وهو رجل نشأ في بلدة تسمىٰ: (حران)، وحران هذه كان فيها جملة من الصابئة والقائلين بمقالات الفلاسفة ومذهبهم مذهب خبيث في الصفات فنشأ في هذا المحيط السيئ، فالتف حوله جملةٌ من أهل الضلال من أمثالهم تجدونهم في كتب الملل باسم: (الجعدية) منسوبون إلىٰ الجعد، ومنهم تلميذه الجهم، لكن الجهم تفوق عليه في الشهرة والسوء؛ لأن الجعد قُتل مباشرة، بعدها تلقىٰ هذه المقالة الخبيثةَ الجهم بن صفوان، وصار ينفي الصفات كما ينفيها شيخُه شيخ السوء؛ ولهذا السلف يقولون لمن نفىٰ الصفات كلها أو بعضها: "جهمي" مباشرة، لماذا؟ لأن هذه المقالة نشأت من الجعد ومن صاحبه الجهم فصاروا ينسبون إلىٰ هذا الرجل الخبيث كل من نفىٰ الصفات أو بعضها، ومن ذلك:

"صفة الكلام" ، فإن القرآن كلام الله؛ ولهذا له أحكام: لا يجوز أن يقرأه الجُنب، لا يجوز أن يمسَّ المصحف إلا طاهر، لماذا؟ لأنه كلام الله، ولا تكون هذه الأحكام في غير القرآن؛ لأن كلام الله ليس ككلام المخلوقين، ومع ذلك أتىٰ من يقول في القرآن بالقول الخبيث سواء من الجهمية أو المعتزلة أو ممن خلفهم من الكُلَّابية، الكلابية: أتباع عبد الله بن سعيد بن القطان؛ ابن كُلاَّب هذا؛ هذا الرجل جاء ليتوسط بين السلف وبين الجهمية فصار يُقر بعض الصفات وينفي بعضها، وعنه تلقىٰ أبو الحسن الأشعري، انتشر واشتهر قول الأشعري حتىٰ فاق قول ابن كُلاب، وإلاَّ قولُ الأشعري هو قول ابن كلاب، ومثل ما ذكرنا: الجهْم بن صفوان فاق شيخَه الجَعد بن دِرهم فصار المنسوب إليه الجهمي ولا يقولون الجعدي؛ لأنه لم يمكث إلا مدةً ثم قُتل، وهذه من حسنات بني أُمية، بنو أُمية لهم حسنات ولهم سيئات، من أحسن حسناتهم: أنهم ما يتركون صاحب الضلالة يبقىٰ، فقتلوا الجعد وقتلوا تلميذه الجهم وقتلوا مِعبدًا الجُهني، وكذلك غَيْلان الدمشقي، وجملة من أهل الضلال، ساعة ينبغ الواحد منهم ويتتبعونه، وكان هذا بإقرار أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ القرآن كلام الله؛ الله تعالىٰ هو الذي تكلم به، والقرآن حروف وأصوات، فتكلَّم الله تعالىٰ به فسمعه جبريل، جبريل مهمته هي البلاغ؛ ولهذا سماه الله تعالىٰ بـ﴿الأمين﴾: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]، أمينٌ علىٰ ماذا؟ علىٰ هذا الوحي، ﴿فَهَلْ عَلَىٰ الرُّسُلِ

إِلَّا الْبَلاغُ﴾ [النحل:٣٥]، فهو مجرد مبلِّغ، ومحمد صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا مبلِّغ يبلغ كلام الله، فالله هو الذي قال:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:٢-٤]، وهو الذي قال: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:١-٢] فهو كلام الله بحروفه ومعانيه، وهذا الذي درَج عليه أهل الإسلام وهو الذي ينسبونه في عقيدتهم، ولهذا أبَىٰ الكفار الإقرار بهذا لأنهم يقولون: أنت يا محمد هذا الأمر أنشأته ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥]، ويزعمون أن هذا ليس من عند الله عز وجل، والمسلمون متفقون علىٰ أن القرآن كلام الله أنزله جبريل علىٰ نبينا صلىٰ الله عليه وسلم، ومهمة جبريل: إبلاغ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ومهمة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إبلاغ الناس، يُبلغ ماذا؟ يُبلغ كلام الله، ولهذا قال: أن الله تعالىٰ متكلم بكلام.

قوله هنا: "قديم" أصل الكلام صفة قديمة أصله، أما آحاده فمتجدِّدة، يعني الله تعالىٰ لم يكن حاشاه تعالىٰ عادمًا لصفة الكلام ثم اتصف بها، لأن أصل الصفة قديمة، أما آحادها فمتجدد فكلم الله موسىٰ، وقبله كلم آدم، وكلم بعد موسىٰ محمدًا صلىٰ الله عليهم جميعًا وسلم وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين لما عُرج به، ويُكلم من شاء من خلقه سبحانه وتعالىٰ كما يكلم الملائكة ويكلم أهل الجنة ويكلم أهل النار كما في نصوص القرآن فهو يتكلم بما شاء، فأصل الصفة

قديم أما آحادها حين كلم موسىٰ فهو المتجدد، ولهذا قال المصنف هنا لأن كلمة أنه متكلم بكلام قديم، والحقيقة أنه قد يُطلقها من يكون سُنيًا وقد يُطلقها أيضًا من يكونون أيضًا علىٰ طريقة السالميةِ وأمثالهم، لكن قوله هنا: "يُسمعه من شاء من خلقه" يدل علىٰ أنه يرىٰ أن آحاده متجدِّدة، ولهذا قال: "سمعه موسىٰ"؛ فسماع موسىٰ من آحاد كلام الله، أما أصل الكلام فقديم أصل الصفة قديم.

وقال: "يُسمعه من شاء من خلقه سمعه موسىٰ من غير واسطة" مباشرة يعني، نزول الزكاة والحج والصوم نزل بها جبريل من عند الله عز وجل لعِظم قدر الصلاة، وشاء الله تعالىٰ أن يُعرج برسوله صلىٰ الله عليه وسلم وأن يفرض عليه الصلاة الصلوات الخمس أن يفرض عليه الصلوات الخمس مباشرة منه إليه تعالىٰ، فسمع محمد صلىٰ الله عليه وسلم كلام الله في المعراج لما عُرج به وأمره تبارك وتعالىٰ بالصلوات خمسين إلىٰ أن جعلها تعالىٰ خمسة.

ولهذا قال: "وسمِعه جبريل ومَن أَذن له من ملائكته ورسله"، ثم ذكر الآيات وأن المؤمنين يكلمون الله في الآخرة نسأل الله الكريم من فضله، وأنهم يزورونه تعالىٰ أيضًا ويرونه، وذَكر الآيات، منها اصطفاءُ الله تعالىٰ موسىٰ برسالاته وبكلامه، وأن الله تعالىٰ كلمه قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]، قوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدر يُثبت الكلام؛ ولهذا كانت هذه

الآية شديدة علىٰ المعتزلة وعلىٰ النُّفاة، وهكذا في الآيات التي أوردها ثم قال: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]، يقول: يستحيل أن يقول هذا إلا الله، يستحيل أن يقول محمد: "إنني أنا الله، لا إله إلا أنا " يقول: لا يمكن أن يقولها ولا جبريل يقولها لا يمكن أن يقوله إلا الله عز وجل فهو الذي قاله وجبريل سمع كلام الله وبلغه محمدا عليهما الصلاة والسلام.

ثم ورد حديث: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»، وفيه أن السماوات تأخذها رجفة عظيمة من سماع كلامه سبحانه وتعالىٰ، وهكذا الحديث: «أن الله تعالىٰ يحشر الخلائق يوم القيامة علىٰ هذا الحال من كونهم حفاةً عُراةً غُرلا بُهما»، يعني ليس بأيديهم شيء، والغُرل، الأغرل: هو الذي لم يُختتن، ويعود الإنسان كما خلقه الله، حتىٰ الخِتان الذي خُتن تعود تلك القطعة التي خُتنت كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[الأنبياء:١٠٤] ، يعود الإنسان علىٰ حقيقته وعلىٰ وضعه، ((فيناديهم بصوت)) أي: الرب سبحانه وتعالىٰ، لأن صوت الله ليس كصوت المخلوقين فصار كما سمعت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرب من صفات الله لا تُقاس، يسمع صوت الله تعالىٰ البعيدُ كما أن القريبَ يسمعه بنفس المستوىٰ؛ لأن صفات الله تعالىٰ لا تُقاس.

(أنا المِلك، أنا الديَّان)، ثم ذكر الخبر هذا ولعله في بعض الأخبار الإسرائيلية وعلىٰ كلٍّ حال العمدة في الإثبات علىٰ النصوص الثابتة من كلام الله وكلام نبيه صلىٰ الله عليه وسلم. نعم.

[فصل]

[القرآن كلام الله]

ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاضٌ، متلوٌّ بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه مُحكم ومُتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاصٌّ وعامٌّ، وأمرٌ ونهيٌ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصِّلت: ٤٢] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

لما كان الكلام لله عز وجل، القرآن هو من كلام الله، فالله عز وجل تكلم بالتوراة وتكلم بالإنجيل سبحانه ويتكلم بما شاء من الكلام، من كلام الله تعالىٰ: القرآن، وهو كتاب الله عز وجل كما بين: (أنه حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، نزل به الروح الأمين علىٰ قلب سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام مُنزلٌ غير مخلوق) ردًّا علىٰ المعتزلة -قاتلهم الله- الذين يقولون: إن القرآن مخلوق، وقد أجمع أهل السُّنة علىٰ أن من قال: إن القرآن مخلوق فإنه كافر، وهذا المسألة كثير من المتأخرين لا يفهمون وجه تشديد أهل السنة فيها، حتىٰ قرأنا لبعضهم نوع نقد للإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ، فلماذا يقف هذا الموقف الشديد ويقاوم هذه المقاومة وهو رجل رحمه الله تعالىٰ سامعٌ مطيع، ومعلوم أنه ليس إلا من أهل السمع والطاعة، وكان في زمن بني العباس يسمعونه ويطيعونه وكلامه واضح في السمع والطاعة لهم، فلما جاءت هذه المسألة وقف هذا الموقف الصارم القوي وتحمل السجن، وتحمل التعذيب، فيقول: لماذا يفعل مثل هذا كله؟ يعني أنك ما فهمت ما الذي سيترتب عليه، المعتزلة -أخزاهم الله- يزعمون أن الله تعالىٰ ليس له صفات، ثم إنه خلق صفات له عياذًا بالله، فالقول بأن الله خلق لنفسه صفاتٍ أمرٌ بالغ الخطورة.

يقول عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:١٧]، فإذا قيل في صفات الله ما هو مخلوق، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَـيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]، فأبطل الله عبادة هؤلاء؛ لكونهم يُخلقون، فإذا قيل والله تعالىٰ من صفاته صفات المخلوق؟! بطل عليك ماذا؟ أصـل عبادة الله: أن الله تبارك وتعالىٰ هو الغني الحميد وما سـواه مخلوق وهو الخالق، وأبطل الله تعالىٰ عبادة من سواه لكونهم يُخلقون ولا يَخلقون، فإذا قيل في صفات الله تعالىٰ: أنه مخلوق سمعه، بصره، وأنه لم يكن له سمع أو بصر فخلق له السمع والبصر؟ فقال أهل السنة: هذا الكفر الصراح الذي لا شك فيه، وهذا محل إجماع، وهو الذي أراده اللالكائي رحمه الله تعالىٰ بقوله:

ولقد تقلَّد كفرَهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان

واللَّالكائي الإمام حكاه عنـ هم بل حكاه قبله الطبراني

اللالكائي رحمه الله تعالىٰ في هذا الموضع حكىٰ عن أكثر من خمسمائة من علماء الأمة علىٰ أن من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر. ووقف الإمام أحمد هذا الموقف ووقف عدد من علماء السـنة وقفوا ومنهم من قُتل رحمهم الله، ومنهم من مات في السجن، ومنهم من استمر علىٰ قوله حتىٰ أُخرج لما جاء زمن المتوكل رحمة الله تعالىٰ عليه، وتحت عذاب بني العباس منهم من رأىٰ أن الله تعالىٰ قد جعل له الرخصـة في أن يُقر لهم في الظاهر وقلبهم مطمئن بالإيمان؛

لأنهم يعتقدون أن الكلمة كلمة كفر، قال: لكن الله تعالىٰ استثنىٰ المُكره، والإمام أحمد أبىٰ، وقيل له: يا أبا عبد الله إن عُرضت علىٰ السيف ترجع؟ فقال: لا؛ لأنه إمام، ولأنه جاء عن بعض أهل العلم الذين ثبتوا قال: أخشىٰ إن طاوعتهم أن يضل الناس، يعني يقول الناس هذا اتضح الآن يعني الإمام أحمد يقوله الآن وغيره من علماء السنة، وهذا وجهه هذا وجه ثباته، وأهل السنة ليس يتعشقون الصدامات مع الحكام ويفرحون لا يفرحون بهذا، لكن إذا ابتُلوا فإنهم يصبرون ويبقون أيضًا علىٰ الولاية فتبقىٰ الولاية، لكن الحقَّ يقال كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث عُبادة: «بايعْنا رسولَ الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ السمع والطاعة في منشطِنا ومَكرهنا وعُسرنا ويسرنا وأن نقوم بالحقِّ لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ».

هذا مراده فنحن الآن علىٰ السمع والطاعة، لكن هذه المسألة مسألةُ كفرٍ وليست مسألةً من مسائل الخلاف التي يمكن أن يُقال إذا اختار الحاكم فيها قولًا فاختيار الحاكم يرفع الخلاف في المسائل الفقهية، وهذه ليست مسألةَ خلاف فقهي هذه مسألة كفر أو إيمان هكذا يعتقدُ أهل السنة؛ ولهذا كان موقفهم ممن قال بأن القرآن مخلوق منطلقًا من هذا الموضع، المتأخرون ما فهموا السبب وافتَروا علىٰ مقام إمامٍ جليل كالإمام أحمد، نقول ما الحاجة المسألة صارت

هذه المسألة من المسائل التي كان ينبغي أن يُعرض عليها، كيف يُعرض عليها؟! أصلًا هي التي أتت إليه ولم يأتِ إليها، هو الذي ابتُلي بها.

الأمر الثاني: كيف يجعل الأمةَ تضل وهو يراها ويُطلب منه أن يقول بهذه المقالة؟ طُلب منه وأتاه خطاب المأمون وغيره طُلب منه أن يقول بهذه الكلمة فأبىٰ ورفض هذه المقالة، وهذه المقالة مقالةٌ خبيثة جدًّا وهي تدل علىٰ سذاجةِ اعتقاد المعتزلة؛ المعتزلة يظنون أنهم ينزهون الله بهذا، فكيف تُنزه الله بأمرٍ لو قُرر تقريرك لطَعن في استحقاق الله تعالىٰ للعبادة، الله طعن في استحقاق هذه المعبودات للعبادة؛ لكونها مخلوقة فقال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:١٧].

ولهذا قال أهل السنة: هذه المقالة كفرٌ لا شك فيه.

فالقرآن مُنزل من عند الله غيرُ مخلوق منه بدأ، منه بدأ الله تعالىٰ هو الذي تكلَّم به كما قال هو الذي قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ابتدأ".

"وإليه يعود" وهذا والعياذ بالله في آخر الزمان يسري علىٰ القرآن؛ فلا يبقىٰ منه حرف، ويزول حتىٰ من الصدور ممن يحفظونه عياذًا بالله فلا يبقىٰ منه شيء في الصدور ولا في السطور؛ ولذلك يعود إلىٰ الله، فمن الله بدأ؛ ابتدأه الله عز وجل وإلىٰ الله تعالىٰ يعود.

القرآن حروفٌ وأصوات، كل هذا الكلام ماذا يريد به ابن قدامة؟ يريد به الردَّ تارةً علىٰ الجهمية وتارةً علىٰ المعتزلة وتارةً بالذات علىٰ الأشعرية؛ لأنه في زمنهم، الأشعرية مقالتهم متفلسفة، يعني يقولون: الله تعالىٰ كلامه ليس لله عز وجل كلام إلا معنىً قائمًا بنفسه، فليس بحروف ولا بأصوات، جبريل فهِم المعنىٰ وعبَّر بألفاظٍ وحروف عن المعنىٰ القائم بالله، فإذا قيل: هذا القرآن الآن الذي بين أيدينا كلام الله؟ قالوا: لا، عبارةٌ، عبارةٌ عن كلامِ الله القائم بنفسه، ولهذا قلنا إن الإمام قِوَام السُّنة رحمه الله تعالىٰ الذي سبق الكلام عليه: اشتد جدًّا علىٰ الأشعرية وهو شيخ الشافعية في زمنه، وهكذا الإمام اللالكائي أحد كبار الشافعية عظَّم مقالة الأشعرية هذه، وردَّ عليهم، وبيَّن أنها مقالة خبيثة، وهكذا الآجُري، الآجرِّي منهم من يقول إنه حنبلي ومنهم من يقول إنه شافعي أيضًا كلهم عظَّموا هذه المقالة مقالة خطرة جدًّا، يعني يقول: القرآن هذا ليس كلام الله، كلام من؟ قال: عبارةٌ عن كلام الله، طيب من يتكلم؟ تارةً يقولون: محمد، وتارة يقولون: جبريل.

لهذا بلغوا مبلغًا خبيثًا يعني وإن كان سفهاؤهم -في الحقيقة- الذين كانوا يقولون: القرآن ما دام أنه مخلوق، المصحف هذا لا كرامة له ممكن أن يوطأ، ما في شيء يستدعي؛ لأنه خَلْق مثل السماوات والأرض من مخلوقات، وقطعًا هذا في الحقيقة قول شُذَّاذهم وقول السفهاء منهم، وفعلًا كما ذكر ابن القيم: أنهم

كانوا يطئونه بأقدامهم -عياذًا بالله- يقولون هو خَلْق من المخلوقات، ما الذي يجعلهم يفعلون ذلك؟ السبب، هو مقالتهم الخبيثة أن القرآن ليس كلام الله! بلىٰ كلام الله عز وجل سواء قرأناه أو كتبناه في الأسطر أو تلوناه بألسنتنا هو كلام الله نحن نكتب كلام الله، ولهذا نُهينا عن أن مس المصحف أصلًا المس وأنت مسلم وأنت طاهر، قال صلىٰ الله عليه وسلم: «المسلم لا ينجُس»، فلا ينجس المسلم، ومع ذلك إذا كنت علىٰ حدثٍ أكبر أو أصغر فليس لك أن تمسَّ المصحف، وإذا كنت علىٰ حدث أكبر فليس لك أن تقرأه قراءة، لماذا؟ لأنه كلام الله وهو أحكام، فكيف يقال إن هذا القرآن العظيم ليس كلام الله؟! فهذا أصل المسألة وإن كنا نحن لا نحب يعني -في الحقيقة- التفصيلَ في عبارات أهل الضلالة لكن حتىٰ فقط يُعرف هذا الأمر الذي تدَّعيه الأشعرية الآن من أنهم أهل الهدىٰ وأهل السنة، كيف أنتم أهل السنة؟ يعني إذا أردت أن تعرف موقع الأشعرية فابن كُلاب كان في زمن الإمام أحمد واشتد عليه الإمام أحمد جدًّا وعلماء السنة كلهم حتىٰ إن الحارث المحاسبي -وهو أحد القائلين بقول ابن كُلاب- اختفىٰ في بيته ولم يستطع الخروج نهائيًّا بسبب الإمام أحمد وعلماء الأمة ولم يخرج إلا ميتًا، ما استطاع أنه يخرج، لما تُوفي خرجت جنازته، الحارث المحاسبي وابن كلَّاب أفضل مئة مرة من اعتقاد الأشاعرة، ولا مقارنة أصلًا بينهم وبين الأشعرية، فرق كبير جدًّا، فرق عظيم جدًّا لهذا المقال، خاصة

الأشـعرية المتأخرين المتفلسـفة هؤلاء، القائلون بكتاب المواقف للإيجي وأمثاله، أصلًا دخلت عليهم الفلسفة ما هو فقط مجرد بلايا الجهمية ومع ذلك يزعمون أنهم أهل السنة، وأن أهل السنة الحقيقيين أنهم هم المجسِّمة وهم ... وهذا النفخ الشديد لأنفسهم، مع أن الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ يقف هذا الموقف العظيم من ابن كُلاب الذي هو أصلح منهم عقيدة، حتىٰ قِوام السُّنة الأصبهاني الشافعي شيخ الشافعية في زمنه، وذكرنا قبل قليل كلامه، له موقف حتىٰ من أبي الحسن نفسه واشتد علىٰ أبي الحسن نفسه الأشعري، وأبو الحسن الأشعري يُثبت أكثر بكثير مما تثبته الأشعرية الآن، بل ليت الأشاعرة الآن، ليتهم علىٰ طريقة أبي الحسن الأشعري، ومع كل هذا الضلال الذي هم فيه يزعمون أنهم هم أهل السنة، وأن من خالفهم يعني كأنهم هم الذين يهَبون الناس يعني بطاقاتٍ بأنهم من أهل السنة، من قال إنكم أصلًا أنتم من أهل السنة؟! أنتم فرقة كلامية، إذًا صنف الأشاعرة أنتم فرقة ماذا؟ يقولون: نحن فرقة كلامية، ماذا قال السلف في الكلام ما دمتم تنتسبون للشافعي ماذا قال الشافعي بنفسه في المتكلمين؟ حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد ويُطاف بهم في العشائر والأسواق، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام.

هذا كلام الشافعي وهذا حكم الشافعي، وقال: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صُبيغ، صبيغ بن عسل الذي جلده عمر وأدمىٰ، ثم تنفخون أنفسكم هذا

النفخ العجيب وتقولون نحن أهل السنة وتأتون لأهل السنة المستمسكين بقول السلف التمسك الحقيقي وتزعمون أنهم مجسِّمة وأنهم يُصرح بعضهم بأنهم كفار، نفس مقالة الجهمية للسلف، نفس ما كان يقوله الجهمية ويقوله المعتزلة.

الحاصل: أن ابن قدامة يرد كثيرًا علىٰ معاصريه وله مُصنف في القرآن يرد فيه علىٰ الأشعرية تحديدًا؛ ولهذا ركَّز علىٰ هذه المسألة، فقال: هو سورٌ محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلماتٌ. والأشعرية تقول: لا، ليس حروفًا؛ كلام الله معنىٰ ليس حرفًا ولا صوتًا؛ ولهذا تقدم أنه قال: إنه سمعه موسىٰ ويأتي قول أيضًا مسموع بهذا من قرأه فعرفه فله بكل حرف عشر حسنات له أول وآخر بداية وله نهاية وأجزاء وأبعاض، فإنهم يقولون: لا، المعنىٰ هو المعنىٰ معنىٰ أجزاء وأبعاض هذا المراد يعني هذه الكلمات يقصد بها الرد عليهم، لكن يطول الكلام -كما قلنا- لو دخلنا في تفاصيل، يقولون: متلوٌّ بالألسنة، هذا الذي نتلوه بألسنتنا ما هو؟ كلام الله، محفوظ في الصدور هو نفس الذي تحفظه مسموع بالآذان، ما سمعناه الآن من الإمام ما هو؟ كلام الله الذي تسمعه مني الآن، لا ليس كلام الله كلامي هذا ليس كلام؛ كلام عبد من عباد الله، لكن الكلام الذي قُرئ في الصلاة هذا كلام الله كل أحد يُدرك هذا، سواء سمعه أو قرأه أو كان علىٰ أي تصريف تصرف فهو كلام الله عز وجل، مسموع بالآذان؛ لأنهم يقولون: هو معنىٰ لا يُسمع كلام الله، مكتوب في المصاحف هو نفس القرآن المكتوب في المصاحف،

ولهذا صار للمصحف أحكام خاصة فيه محكم ومتشابه وتقدم الكلام وناسخ ومنسوخ، النسخ: هو الحكم الذي جاء متأخرًا وأزال حكم أصل الإزالة؛ وأزال حكمًا سابقًا، وخاصٌّ وعام، وأمر ونهي، يقول لا ما في أمر ونهي يقول ما في أمر ونهي، كلام الله ليس فيه أمر ولا نهي، هذه النصوص الآن ما فيها؟ ﴿أقيموا الصلاة﴾، وتحريم الخمر ماذا تكون؟ قال: لا هذا في الذي عبر به محمد، ما الفرق فيما قال السلف لمتقدميهم من الجهمية قال: ما فرق قولكم من قول الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، والوليد بن المغيرة قال لما سمع القرآن من النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾، وأنتم الآن تقولون: هو كلام محمد عبر به عن المعنىٰ القائم بالله والأصل أن هذه المقالات الإنسان يسأل ربه العافيةَ ويحمد الله تعالىٰ علىٰ أنه نشأ في سُنة وفي هداية وبُعد عن هذه المقالات الضالة، ولهذا سبحان الله كبار الأشاعرة وأساطينهم الكبار الكبار في آخر أعمارهم -جمْعٌ: الرازي، الُجويني، أبو المعالي، الشَّهرستاني، عدد كبير منهم في آخر حياتهم- يندمون ويعودون عما قرروه في آلاف الصفحات التي كتبوها؛ لأنه كلام ضلال ومخالفة عظيمة للقرآن، حتىٰ إن الرازي في آخر كتابه صنَّف يقول ابن القيم رحمه الله وابن تيمية: أنه أفضل كتاب ألفه اسمه: "أنواع اللذات"، يقول فيه: لقد تأملت طرق الكلامية والمذاهب الفلسفية - يعني بعد عمر طويل أمضاه - فما وجدتها تشفي عليلا.

يعني: مريضـــا. ولا تروي غليلا، ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن يا لله العجب!.

بعد هذا العمر الطويل عرفت أن القرآن هو أقرب الطرق ماذا سيكون إذًا؟ ما الذي تتصوره؟ يفهمها أي عامي من عوام المسلمين، عشان الكلام يرصوه كلام أفلاطون وكلام ابن سينا يمكن يكون أقرب ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورىٰ:١١]، ثم قال: ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

يعني من بلغ المبلغ الذي وصلته فيما يسمىٰ بعلم الكلام وليس علمًا وأهل السنة يأبون أن يسمونه: علما، لكن هم أطلقوا عليه أنه علم يقول: من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، ثم قال أبيات شعر يعني بليغة جدًّا جدًّا قال فيها:

نهايةُ إقدام العقول عِقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذًىٰ ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها رجال فبادوا والجبال جبـــال

الجبال النصـوص هذه العظيمة ما يمكن إلا أن تكون كالجبال يعلوها أُناس من الحمقىٰ ويخالفونها فسيزول هؤلاء وستبقىٰ النصوص.

وكم من جبال قد علت شرفاتِها ... رجال فبادوا والجبال جبال

النصـوص لا يمكن أن تتأثر في معانيها، محفوظة بحفظ الله ولله الحمد ومضبوطة فمن ضل فهو الذي يضر نفسه. الحاصل: أن ابن قدامة يشير إلىٰ هؤلاء وبين ما عندهم من الضـلال والانحراف وأن القرآن كلام الله عز وجل حقًّا، ومنه بدأ من الله وإلىٰ الله تعالىٰ يعود وأننا نقرأ كلام الله سبحانه وتعالىٰ ولذلك يترتب عليه ما ذكرنا من الأحكام ((لا تمس المصـحف إلا وأنت علىٰ طُهر)) و ((لا تقرأ القرآن وأنت جُنب))، ونحو ذلك.

وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [سـبأ: ٣١] وقال بعضـهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَـرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦] وقال بعضهم: هو شعر، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّـعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] فلما نفىٰ الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنا لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو

هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

نعم يريد ... في الرد علىٰ الأشـــاعرة القائلين بأن كلام الله معنىٰ وليس له حروفًا وليس له صـوت، وهذا هو الكتاب العربي الذي لا يعرف أصـل الخلاف يقول: لماذا يقولون هذا الكلام فيه احتمال أنه ما يكون القرآن؟ نعم؛ لأنه يريد الرد علىٰ هؤلاء، فهم يقولون: ليس القرآن هذا المصـحف، ليس كلام الله عبارة عن كلام الله؛ لأن كلام الله بزعمهم معنىٰ ليس حروفًا ولا أصـواتًا، كل هذا يريد به الرد عليهم، قال: وهذا هو الكتاب العربي الذي قال الله الذي فيه قال الذين كفروا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾، وقال بعضـهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَـرِ﴾، لما سمعوه من النبي صلىٰ الله عليه وسلم زعموا أنه كلامهم.

وقال بعضـهم: هو شـعر، فقال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّـعْرَ﴾، فلما نفىٰ الله أن يكون شـعرًا وأثبته القرآن لم يبق شـبهة في أن القرآن هو هذا الكتاب الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد أنه شعر، لما سـمعوه قالوا: إنه شعر، فالحاصل: أن مقصد ابن قدامة في هذا الكلام قد يكون بالنسبة لك أمرًا بديهيًّا هو يريد به الرد علىٰ هؤلاء المخالفين. نعم.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُـورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان

بمثل ما لا يدري ما هو ولا يعقل، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥] فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلىٰ عليهم. وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩] بعد أن أقسم علىٰ ذلك، وقال تعالىٰ: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١] وقال تعالىٰ: ﴿حم * عسق﴾ [الشورىٰ: ١ - ٢] وافتتح تسعا وعشرين سورة بالحروف المقطعة. وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون علىٰ عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه. ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة علىٰ أنه حروف.

لاحظت بعد الكلام هذا كله قال: وفي هذا حجة قاطعة علىٰ أنه حروف. أكيد حروف يا ابن قدامة كل هذا الإجهاد لنفسك حتىٰ تثبت أنه حروف نعم هو يريد الرد علىٰ من ينفون أنه بحرف، ولأن بعض الأحيان في الحقيقة طالب العلم قد ينتقد علىٰ العالم يعني عبارات كأنها بديهية هو له مراد ويتحدث عن معاصريه ممن ضلوا ويزعمون أن القرآن ليس بحرف ولا بصوت أن كلام الله ليس بحرف ولا بصوت فهو يريد بهذا الكلام كله الرد علىٰ هذه المقالات، ولذلك أورد هذه الآيات قال: قوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾، وهذا التحدي يتحداهم الله أن يأتوا بمثله وهل يتحداهم الله بأمر معنىٰ قائم في نفسه؟ لا يتحداهم إلا بأمر يزعمون هم أنهم قادرون علىٰ الإتيان بمثله ويعرفونه كلام يسمعونه، فإن كنتم تزعمون أنه من كلام محمد صلىٰ الله عليه وسلم فأنتم أصحاب لغة مثله فائتوا بمثلما قال إن زعمتم أنه من كلامه.

وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾، فأثبت أن القرآن هو الآيات ﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات﴾ فهو آيات مضافة إلىٰ الله آيات الله سبحانه، وهكذا قوله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ لأن أهل العلم يقولون: وهو محفوظ في الصدور، وهذا دليل علىٰ أنه يحفظ في الصدور ومكتوب في السطور ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾

يعني يُكتب ويُحفظ، وهكذا، وذكر أن الله تعالىٰ ذكر الحروف، والحروف المقطعة بلغت تسعًا؛ فهو في تسع وعشرين سورة منها ما يكون من حرف واحد مثل ﴿ص﴾، ومنها ما يكون من حرفين مثل: ﴿حم﴾، ومنها ما يكون من ثلاثة، ومنها ما يكون من أربعة، ومنها ما يكون من خمسة، إلىٰ آخره، المقصود: أن هذه الحروف من كلام الله عز وجل أورد الحديث هذا ويظهر أنه رحمه الله تعالىٰ ذهب ذهنه لحديث ابن مسعود في قوله: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة». حديث صحيح.

الذي يظهر أن هذا الحديث ليس بصحيح، الحديث المعروف هو قول ابن مسعود رضي الله عنه: منهم من يقول إنه من كلامه ومنهم من يقول إنه مرفوع. وحتىٰ لو قيل أنه من كلامه فإنه لا يكون من قبيل الرأي، وهو مشهور جدًّا عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه: ((من قرأ حرفًا من كتاب الله فله بكل حرف حسنة لا أقول: ﴿ألم﴾ حرف، ولكن (أ) حرف و (ل) حرف و (م) حرف فسماها: حروفًا، وهكذا قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السَّهم» يعني أنهم يقرؤونه قراءة دقيقة جدًّا. «لا يجاوز تراقيَهم» التراقي جمع: تُرقوة، وهي العظم الذي بين ثغرة النَّحر والعاتق هذا العاتق، وثغرة النحر، هنا تكون الترقوة؛ يعني أنها -عياذًا بالله نسأل الله العافية-

لا يجاوز مجرد ما يقرؤها فلا ينفعهم، «يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»، وهذا فيه تحذير ممن يقرؤون القرآن أن عليهم إصلاح النية، ولهذا نحن نوصي الأئمة ألاَّ يضعوا كاميرات التصوير أمامهم خشوعك بينك وبين الله، لو يأتي أحد ينظر إليك وأنت تصلي هكذا ألا تضايق هناك خشوع بينك وبين رب العالمين تارة تبكي، تارة يعني يرق قلبك فكيف تجعل الكاميرا أمامك فاقرؤوا القرآن لله عز وجل ودعوا عنكم مثل هذه الأمور، وإذا أردت أن تُسمع الخير اسمع القرآن، فالقرآن قراءته هي المقصودة وليس المقصود أن يُنظر وجهك وأنت تقرأ، فمثل هذه الأمور في الحقيقة يخشىٰ معها يُخشىٰ فيها من موضوع الإخلاص ويُخشىٰ علىٰ الإخلاص فيها جدًّا؛ ولذلك قال في هذا الصنف: نحن لا نقول أن من فعل هذا غير مخلص -معاذ الله- لا، لكن نقول هذا لا شك أنه قد يضر بالإخلاص، فيقول: يتعجلون أجره ولا يتأجلونه، هذا التعب في قراءة حروفه لهم به مقصد يقول يتعجلون أجره يريدون به الدنيا ولا يتأجلون لا يريدون به الدار الآخرة، ولهذا يُنبه طالب العلم علىٰ ضرورة الإخلاص لله عز وجل.

وهكذا ما جاء من كلام يعني عن السلف من القرآن حروف كما أورد عن أبي بكر وعمر وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه وأرضاه، ثم قال: اتفق المسلمون علىٰ عدد سور القرآن إذا قيل كم سورة القرآن؟ مائة وأربع عشرة سورة، كم آياته؟ اختلف العلماء في عدِّه، وسبب الخلاف في العدِّ، ينبغي أن تنتبه سبب

الاختلاف في العد ما هو معناه؟ أن هذا عنده آية زائدة -معاذ الله-، لكن هو نهايات الآيات، يعني مثل قوله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ هذه آية، وعندك الآن في المصحف ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ قال: أظن أن الشعبي أو أحد السلف يقول: لا تقف ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ -٢٧] يعدها آية، وهذا السبب يعني في كونه ... حتىٰ حروفه حتىٰ الحروف ذكر ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في مقدمة تفسيره يعني كلام العلماء في عدد الحروف وعدد الكلمات، أما عدد السور فمعروف عند الجميع.

ثم قال: ولا خلاف بين المسلمين في أن من جَحد من القرآن سورةً أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه فقد كفر.

لأن هناك قراءات نُسخت؛ فالحروف المتفق عليها والسور والآيات يُسأل عنها من ينفي أنه مضاف، فيقال مثلًا للأشعري: لو أن أحدًا جحد هذه الكلمة: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[الرحمن:٦٤] فما يكون حكمه؟ نقول: كافر، وهذه مسألة متفق عليها وموجودة في القرآن هذه ما هي؟ هو جحد ماذا ... انطق، لازم يقول كلمة، لابد أن يقول كلمة أرأيت أنه كلمات! هذه الكلمة مكونة من ماذا؟ من ميم، ودال، وهاء، إلىٰ آخره، أرأيت أنهم حروف، ولهذا نقول: لا خلاف بين المسلمين؛ لأن من جحد سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفق عليه أنه كافر، فأنت

الآن إذا أتيت في كتب الفقه الأشعري ماذا ستفعل؟ تأتي بكتاب حكم المرتد تقول: من جحد ماذا جحد ماذا؟ لابد تقول كلمةً، لابد تقول حرفًا حتىٰ توضح الحكم وأنت تقول إن القرآن ليس حروفًا ليس حروفًا، فلابد أن تقول بأنه كلمة، ولهذا قال في الأخير: ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة علىٰ أنه حروف.

وهذا الدليل علىٰ أنه حروف.

[فصل]

[رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة]

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فلما حجب أولئك في حال السخط دل علىٰ أن المؤمنين يرونه في حال الرضىٰ، وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربَّكم كما ترون هذا القمرَ لا تضامُّون في رؤيته» حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالىٰ لا شبيه له ولا نظير.

تكلم عن أمر رؤية المؤمنين لربهم، وأن هذه الرؤية حقيقية، وهذا مرة أخرىٰ يؤكد لك ما قلنا عن ابن قدامة لأنه قال: "بأبصارهم" يعني الذين أولوا الرؤية ماذا قالوا؟ مثل المعتزلة ينفون أن تكون الرؤية بالأبصار، وهكذا المتأخرون من الأشاعرة الآن ينفون الرؤية، مع أن أبا الحسن الأشعري يثبت الرؤية، هم وقعوا في ورطة؛ فالرؤية تكون إلىٰ وجه الله، فالذي يُثبت الرؤية هو الذي يثبت الوجه، فالأشعري يثبت الوجه، ونحن قلنا إن المتأخرين من الأشاعرة مخالفون للأشعري مخالفة صريحة واضحة، أمَّ كتابَ الإبانة وقارنه بكتب المتأخرين ستجد الفرق الكبير بين الأشعري وبينهم، نعم ما عند الأشعري من إشكال، الأشعري يثبت الوجه ولهذا أثبت الرؤية ، هم لما خالفوا الأشعري وخالفوا السلف والنصوص قبلهم نفوا وجه الله عز وجل، فلما جاءوا إلىٰ الرؤية فكيف يثبتون الرؤية وقد نفوا الوجه؟ فنفوا الوجه ونفوا الرؤية كالمعتزلة تمامًا، ولهذا مال مذهبهم في القرون المتأخرة علىٰ يد الجويني إلىٰ قول المعتزلة، ثم مالك وقلنا عليه والبيضاوي والرازي ما هو أسوأ من قول المعتزلة وقول المتفلسفة وهو الذي للأسف استقر عليه وهو الذي عليه كتابهم: "المواقف" وغيره، وهو الذي يدرسونه الآن في أنحاء الأرض؛ لأنهم علىٰ هذه الحال، فينفون الرؤية مع أن المتقدمين يثبتونه.

هو يقول: المؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم رؤية حقيقية، وهي أعظم لذة في الجنة علىٰ الإطلاق نسأل الله الكريم من فضله أعظم لذة في الجنة أن ترىٰ ربك سبحانه الذي عبدته وأخلصت له وصليت له وصمت له وقدمت أمره علىٰ هوىٰ نفسك وعلىٰ كل الناس تراه سبحانه، فإذا نُفيت الرؤية نُفي أعلىٰ نعيم في الجنة نعوذ بالله، ولهذا قال: "يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه" ويأتونه سبحانه وتعالىٰ في الجنة ويرونه رؤية حقيقة "ويكلمهم ويكلمونه" وهذا يُثبت أن كلام الله أيضًا مسموع ويكلمونه نسأل الله الكريم من فضله، اللهم اجعلنا منهم يا رب.

قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

"ناضرة" بالضاد من النضارة والبهاء والحُسن، ﴿إلىٰ ربها ناظرة﴾ من النظر بالعين، ولهذا قال: ﴿وجوه﴾، وهكذا قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وهم الكفار. فلو كان المؤمنون محجوبين عن الله عز وجل لكان المؤمن هو والكافر سواء بها، وقد أخبر الله أنه يحتجب عن الكفار عقوبة لهم؛ ولهذا قال الشافعي: فلما احتجب عن هؤلاء في السخط دلَّ علىٰ أن هؤلاء يرونه في الرضا، والكلمة هذه أصلها من الشافعي رحمه الله.

وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تَضامُّون في رؤيته» يعني لا تحتاجون أن ينضم بعضكم إلىٰ بعض مثل القمر من أراد أن ينظر فإنه لا يحتاج إلىٰ أن ينضم مثل الشيء الذي يحتاج الناس أن يقتربوا وينظروا إليه، لا القمر في الأعلىٰ، وهذا يدل علىٰ أن رؤية الله تكون إلىٰ الأعلىٰ. ولهذا قال: "وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية" يعني تشبيه لرؤيتك أنت للقمر برؤيتك لربك وليس معناه تشبيه الله بالقمر ما عاذ الله.

" كما ترون هذا القمر لا تَضامُّون"، وفي لفظ آخر: "لا تُضامُون" يعني لا يصيبكم ضيم في رؤية الله الأحاديث الواردة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الرؤية؛ والرؤية نحو من ثلاثين من الصحابة رضي الله عنهم، ومع ذلك ردها جاهلة المعتزلة، وردها نفاة الرؤية مثل الأشعرية المتأخرين مع صريح نصوص القرآن وصريح النصوص النبوية وكثرتها وتواترها؛ ولهذا هذه المسألة من المسائل المميزة عندنا جملة من الاعتقادات فيها مميزة، كيف مميزة؟ يعني من خالف فيها مباشرة فهو جهمي أو رافضي مثل الصحابة المخالف رافضي، المخالف في عدالتهم، الرؤية والصفات المخالف جهمي، وأنت تقول فيه جهمية، وفيه معتزلة، وفيه كُلابية، وغيرهم، السلف رضي الله عنهم يطلقون علىٰ من خالف ينسبونه إلىٰ أول من اشتهر بالنفي والجهم بأنواعهم وألوانهم مثل الشيعة الآن، تقول هناك شيعة أصولية، شيعة إخبارية، شيعة كذا، المهم أنها

دائرة واحدة -بقطع النظر- عن التلون، هذا المعنىٰ، فمسألة الرؤية من المسائل المميزة العظيمة جدًّا، مسألة عظيمة؛ ولذلك بعض المتكلمين مع أنهم علىٰ منهج باطل لمَّا أتوا إلىٰ الرؤية أثبتوها وهكذا العلو لما أتوا إليه لم يستطيعوا أن ينفوه العلو دلَّ عليه أكثر من ألف دليل.

فالحاصل: أن هذا الاعتقاد من الاعتقادات التي فيها مميزةٌ بين أهل السنة ومخالفيهم.

[فصل]

[القضاء والقدر]

ومن صفات الله تعالىٰ أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالىٰ:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

روىٰ ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فقال جبريل: صدقت» رواه مسلم. وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره» ومن دعاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت» ولا نجعل قضاء الله وقَدَره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن، ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهىٰ إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا علىٰ معصية، ولا اضطره إلىٰ ترك طاعة، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] فدل علىٰ أن للعبد فعلا وكسبا يُجزىٰ علىٰ حسنهِ بالثواب، وعلىٰ سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره.

تكلم رحمه الله تعالىٰ هنا عن القدر بكلام جامع ذكر فيه أن الرب عز وجل من صفاته: أنه يفعل ما يريد، وأنه لا يقع في هذا الكون تحريكة ولا تسكينة إلا بإرادته سبحانه، وأن لا يمكن أن يخرج شيئًا عن مشيئته مهما كان، وأن الله تعالىٰ إذا لم يشأ أن يكون الشيء فإنه لا يمكن أن يكون حتىٰ لو توفرت كل الأسباب واجتمع كل المخلوقين فإذا أبىٰ الله عز وجل أن ينفذ هذا الأمر الذي اجتمعوا عليه فإنه لا يمكن أن ينفذ، ولهذا هم يسعون في إطفاء الإسلام منذ أن بعثه الله قال تعالىٰ: ﴿وَيَأْبَىٰ اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[التوبة:٣٢]، لا يمكن أن يقع الشيء إلا بمشيئة الله تعالىٰ وإذنه.

ولهذا قال: "وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالم فاعلوه".

الشيء الذي فعلوه قد أراده الله، الإرادة نوعان:

- إرادة كونية.

-وإرادة شرعية.

الإرادة الكونية شاملة لا يمكن أن يقع الشيء بتاتًا إلا إذا أراده الله فالله هو الذي أراد الهزيمة يوم أُحد، وهو الذي أراد النصر يوم بدرٍ، ولو أراد الله لما

انتصر الكفار، فتأتي المسألة الآن إذا كان الله تعالىٰ قد أراد هذا فلماذا قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا﴾؟ فتأتي الحكمة: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] فالله لا يقدر شيئًا عبثًا، لكن لله سُنن، وله تبارك وتعالىٰ أحكام تجري علىٰ البر والفاجر، منها أنه سبحانه إذا عُصي فإنه قد يخذل من عصاه، وأن النصر لا يكون إلا لمن نصره، ونصر العبد لله ليس المقصود به أن الله تعالىٰ بحاجة إلىٰ نصر العبد ولكن المقصود بنصر العبد لله عز وجل أن يقوم بما أمره الله تعالىٰ به فعند ذلك ينصره الله، وإلا فالله غني حميد وهنا ينصره الله حتىٰ لو كان في ضعف.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ﴾ شوف العبارة ﴿أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]ما قال: ضعفاء بل ﴿أذلة﴾، ومع ذلك نصرهم الله مع أن كل الأسباب الدنيوية تدل علىٰ أنهم سيهزمون.

وفي حنين قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾[التوبة:٢٥]، والكثرة دالة علىٰ النصر فصارت سببًا في الهزيمة حتىٰ منّ الله تعالىٰ بالنصر لاحقًا، الحاصل: أنه لا يقع أمر إلا بإذنه والرب تعالىٰ أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية علىٰ أتم ما يكون من الحكمة، فالله تعالىٰ حكيم عليم ولا يمكن أن يُقدر شيئا إلا لحكمة بالغة سبحانه وتعالىٰ.

ولهذا قال: "أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لأطاعوه"، لكن الله تعالىٰ قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، وإلا لو شاء الله لكان أهل الأرض كأهل السماء في طاعة تامة وهذا خلاف حكمة الله، طاعة أهل السماء لأن الله تعالىٰ جعلهم علىٰ هذا الحد من الطاعة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء:٢٠]، أما أهل الأرض فيختلطون من جنهم وإنسهم، ولهذا قال صلىٰ الله عليه وسلم: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولأتىٰ بقومٍ يُذنبون» طيب لماذا؟ «فيستغفرون فيغفر لهم»، حكمة الله تعالىٰ فلو كان أهل الأرض ليس عندهم ذنب نهائيًّا فلمن يغفر الله؟ ولو كان ما في أهل الأرض متجبر طاغي لظل السنين الطويلة يظلم عباد الله لما ظهر بطش الله وانتقامه، قال أهل العلم: فهذه الأشياء التي يقدرها الله عز وجل بها تظهر آثار أسمائهم وصفاتهم آثار الأسماء والصفات، فمن آثار أسمائه وصفاته آثار أسماء النقمة، عياذًا بالله من انتقامه، والقهر من أسمائه تعالىٰ: القهار، وهو ذو انتقام، فلو كان أهل الأرض كأهل السماء لما انتقم الله من أحد من أهل الأرض، لكن من عظمة الله تعالىٰ أن يملي للظالم فيزيده في الطغيان حتىٰ يأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر يتضح به ذُل العبد، ويكون هذا المتجبر في بعض الأحيان يرحمه الناس لأن الجبروت والعظمة لله عز وجل.

وهكذا المغفرة كما قلنا لو كان الناس لا يذنبون لما وقع من آثار أسمائه تعالىٰ: الغفار، التواب. يتوب علىٰ من إذا كانوا جميعًا لا يقع منهم ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]؛ ولهذا جعل الله تعالىٰ الخلق علىٰ هذا الحد، فالملائكة في طاعة مستديمة، والجن والإنس علىٰ نوعين: منهم أخيار مطيعون ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن:١١]، ومنهم أشرار، والأشرار علىٰ نوعين أيضًا منهم الشياطين والكفرة، ومنهم من قد يكون عنده شيء من المعاصي مع بقائه علىٰ إسلامه فتأتي أقدار الله العجيبة والعظيمة وتأتي معها أيضًا أحكام الله في شرائعه ويظهر بها ما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥] علىٰ أتم ما يكون من الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، كل هذا ما يظهر إلا بتقدير الله عز وجل لمثل هذه الأمور والكلام في القدر باب عظيم جدًّا في الحقيقة.

ثم قال: "خلق الخلق وأفعالهم".

أفعال الخلق مثل شربك الماء هذا الآن مدك يدك هكذا خلقه الله لك خلقك الله تعالىٰ وخلق فعلك، فأنت تمد يدك الآن لهذا الماء ثم تشربه، المشلول لماذا لا يستطيع أن يشرب الماء؟ ما خُلق له الفعل يده مشلولة فلا يستطيع، وهذا معنىٰ قولهم: (إن الله خلق الخلق وخلق أفعالهم)، ثم إن الله مكنك أن تمد يدك لأخيك بالخير والصدقة مثل الفقير ومكنك أن تمد يدك بالسوء والظلم والضرر

ويحاسبك علىٰ هذا وعلىٰ هذا، وهذا معنىٰ قوله: "خلق الخلق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم". كل له رزق وكل له أجل ينتهي إليه، وإذا هدىٰ أحدًا فإنه يهديه برحمته، وإذا أضله فإنه يضله لحكمة ولا يضله ظلما سبحانه وتعالىٰ، بل هو الذي لا يظلم مثقال ذرة، ثم ذكر أن القدر لابد أن تلاحظ فيه مثل هذه الآية: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، فأنت تقول: هذا هاديه الله عز وجل وهذا أخوه في أضل ما يكون، "إليه سبحانه" لا تسأل هذا السؤال؛ لأنه حتىٰ السؤال بهذه الطريقة قد يكون سببًا في ضلالك أنت؛ لأن الله تعالىٰ لا يُسأل عما يفعل فلا يُوجه له تعالىٰ لماذا؟ من هو العبد الذي يستطيع أن يقف أمام الله تعالىٰ ويقول: لماذا يا ربي؟ من؟! أو يقول: كيف؟! فالله تعالىٰ لا يقال له: لم؟ ولا كيف؟ ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

هم الذين يُسألون. نعم.

يقول رحمه الله تعالىٰ في إيراده أمر موضوع القدر أورد قوله عز وجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] فما من شيء إلا والله تعالىٰ قد قدره ومراتب القرد أربعة هي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق. العلم: أن الله علم كل شيء جملة وتفصيلاً، والكتابة: أنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ، والمشيئة: أنه لا يمكن أن يقع شيء في ملكوت الله عز وجل إلا إذا شاءه من خير أو شر، قلنا لأنه يقدِّر الشر لحكمة سبحانه وتعالىٰ، كما قال تعالىٰ لما مات سائر

الصحابة: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا﴾ [آل عمران:١٦٥]، كيف هذا؟ كيف يقع؟ نحن المسلمون وفينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ويغلبنا الكفار ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: بسببكم، ثم قال مبينًا أن ذلك في تقديره: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:١٦٥]، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ ثم بين الحكم ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٦٦]، إلىٰ آخر الآيات، فاتضح المنافقون واتضح المؤمنون واتضح أن المعصية قد تضر الأمة ولو كان فيها خيار صالحون لا ليس هذا فحسب، بل قد تضر الأمة ولو كان فيها رسول الله متىٰ تعرف الدرس هذا؟ إلا إذا قدر الله تعالىٰ مثل هذا ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]، وقد بين عز وجل أنه وقعت معصية في "أُحد" وهي واحدة ولم يقع منهم معاصٍ كثيرة قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:١٥٢]، ما المعصية؟ أن الرماة رضي الله عنهم نزلوا من الموقع الذي حدده النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقال: «لا تبرحوا مكانكم حتىٰ أُرسل إليكم فإن رأيتموهم غلبونا فلا تعينونا، وإن رأيتمونا يتخطفنا الطير» كلام واضح، وهذا يدلك علىٰ أهمية الاستمساك بظاهر النص كلام واضح، فلما ولىٰ المشركون الدُّبر، الذين علىٰ الجبل رضي الله عنهم لم يتعمدوا المعصية معصية المُعاند، لكن لا شك أن قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم واضح؛ لأنهم لا

يبرحون مكانهم؛ هم كالذي قال: النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمرنا بأن نبقىٰ في مكاننا وسنة الحرب قائمة، أمَا والعدو الآن قد فر، فالنبي صلىٰ الله عليه وسلم لا يريدنا أن نبقىٰ إلىٰ قيام الساعة يريدنا أن نبقىٰ مدة القتال، فمنعهم ابن جبير رضي الله عنه وكان أميرهم وذكَّرهم بأمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم فتأولوه، وهذا يدلُّك علىٰ أن الاستمساك بظاهر اللفظ هو الصواب؛ لأنه قد يأتي مثلاً ما يدل علىٰ أن اللفظ يراد به كذا إلا إذا دلَّ من كلام الله أو كلام رسوله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ أن هذا الظاهر غير مُراد، لكن في القرآن نفسه كما قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: أنه لا يُصار إلىٰ باطنٍ دون ظاهر.

يعني لا يقال إن اللفظ هذا يراد به غير ظاهره إلا بنصٍّ من القرآن، أو من السُّنة، أو إجماع، فإذا لم يوجد هذا تُبقي اللفظ علىٰ ظاهره، فلما نزلوا رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم حصلت المصيبة والمصيبة شملت وسماها الله بمصيبة ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ [آلعمران:١٦٥]، أضرت حتىٰ برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكان الله تعالىٰ قادرًا علىٰ أن لا يمسه بسوء لكي تظهر بشريته ولأجل أن هؤلاء الذين يُغْلون فيه ويقول واحد منهم: "يا رسول الله أغثني" نقول هذا وقع له؛ ليُعرف بشريته صلىٰ الله عليه وسلم، ثم لما دعا عليهم عليه الصلاة والسلام، دعا علىٰ الكفار، كيف يُفلح قوم شجُّوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلىٰ ربهم ثم قنت عليهم ولعنهم أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ

الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨]، فدل علىٰ أن قوله: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم:٤] أنه ليس عند الرسول الأمر فتأتون تسألون عند قبره يا رسول الله الأمر لله ليس للرسول، وأيضًا فيه دلالة عظيمة - وهذا من أنفس ما يكون في الرد علىٰ الرافضة- نهىٰ الله النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن يدعو علىٰ الذين أضروه من المشركين؛ لأنه يعلم أنهم سيسلمون، فنهوا عن الدعاء لهم وهم كفار ظالمون قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾، أو بدأ بالتوبة ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، ثم إنهم أسلموا؛ لأن الله يعلم غيبهم وإلا لو كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم يعلم الغيب وأنهم سيسلمون ما دعا عليهم كل هذه الأمور من حكمة هزيمتكم، من قدرها؟ قدرها الله لهذه الحكمة ولحكم لا يحيط بها إلا الله عز وجل وتكون دروسًا لأمة محمد صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ قيام الساعة، ومثلما ذكر فيها الرد علىٰ القبوريين وفيها الرد علىٰ الرافضة أنت الآن تشتم أبو بكر وعمر ! الله نهىٰ نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أن يدعو علىٰ سهيل بن عمرو، وأبي سفيان وهم كفار ظالمون تعدوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقتلوا سبعين من أصحابه وشجوا وجهه الكريم ومع ذلك قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ لأن الله يعلم الغيب سيسلمون، فأرغم الله بأنوفكم نهىٰ الله عن الدعاء علىٰ صحابة كانوا كفارا لأنهم سيكونون صحابة فما بالك بالمؤمنين من الصحابة ؟ حاصل دروسنا لا يحيط بها إلا الله عز وجل

في موضوع القدر، ثم أورد قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهذا الكتاب كما قلنا أشياء مكتوبة قبل ذلك مقدرة، وأن الأمر في الهداية إلىٰ الله ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآن أذن المؤذن؛ المؤمن علىٰ أكمل ما يكون من انشراح الصدر سأذهب لأصلي، وهذه الصلاة أثقل من الجبال علىٰ المنافق ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَىٰ الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

ولهذا قال بعض السلف: إن قراءة القرآن أثقل علىٰ المنافق من نقل الحصىٰ والحجارة.

هذا الشيء الذي منّ الله تعالىٰ به عليك وفرحت بقراءة القرآن وبالصلاة فاحمد الله عليه، فإنه علىٰ غيرك أثقل ما يكون لأن الله هداك ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥]. فتنتكث عنده المفاهيم فيكون الحجاب والعفة والأدب والحياء تخلف وينظر إليها بنظرة الازدراء التي هي عندك، أعظم شيء بعد دينك العرض والحياء والحشمة، فينظر إليها نظرة بالغة الازدراء؛ لأن الله أضله وانتكست عنده المفاهيم وصار عياذًا بالله ممن انقلب قلبه، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[الأنعام:١٢٥] يعني كأنه يقال له الآن: اصعد السماء، كيف أصعد السماء؟! ما عندي أجنحة، اصعد السماء؛ فيضيق صدره كما لو قيل لأحد: اصعد السماء، ثم ورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وفي حديث جبريل المشهور ورواه أيضًا عمر لما سأله: ما الإيمان؟ ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر)) وفي لفظ آخر: ((وتؤمن بالقدر خيره وشره)).

فدل علىٰ أن القدر فيه خير وفيه شر، لكن هذا الشر الذي يصيبك من القدر بعض ما تستحق، والدليل؟ الدليل في القرآن علىٰ أن بعض ما نستحق ما هو كل ما نستحق ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورىٰ:٣٠].

لكن انتبهوا ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ترىٰ هذا الأدب الذي جاءك بعد ضرر وخلل وإشكالات كثيرة في لسانك وفي قولك وفيما نظرت وفيما نويت كثيرة جدًّا عفا الله عنك، ثم جاءك ضرر قد عفا الله عن كثير منه سابقًا فيكون درسًا وأدبًا لك ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أنت المتسبب فيها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، فالقدر أيها الإخوة باب من أبواب زيادة الإيمان فإذا انتكس عند الإنسان المفهوم صار بابًا من أبواب الشبهة عياذًا بالله كما فعلت الجبرية وفعلت القدرية، ثم أورد الحديث الذي فيه أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم علم

الحسن رضي الله عنه هذا الدعاء وفيه: «وقني شر ما قضيت» فدل علىٰ أن في المقضي شرا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسدٍ إذا حسد﴾ [الفلق: ١-٥]، ففيه أشياء من الشرور ﴿من شر ما خلق﴾، إلىٰ غير ذلك من الأمور الدالة علىٰ ما في القدر من هذه المسائل التي يجب الإيمان بها ولن ينتفع بها إلا من يؤمن بها علىٰ طريقة أهل السنة، ولذلك قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير؛ إن أصابته ضراء صبر»، لماذا؟ لأنها من الله، أصبر؛ لأنها من الله، أيُّ ضراء، «وإن أصابته سراء شكر»؛ فلا يغتر أبدًا ولا يعترض أبدًا؛ لأنه يقول هي من الله عز وجل، وإن جاءنا شيء من الضرر فهو بعض ما نستحق وإن أتانا خير من التوفيق ما يفخر ما يغتر أبدا يقول هذا بفضل الله عز وجل كما قيل في سليمان عليه الصلاة والسلام أُتي له بعرش ملكة سبأ من اليمن إلىٰ الشام أول ما وُضع ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠] هكذا القلوب الحية، والقدر في الحقيقة مما يحيي الله تعالىٰ به قلوب أهل الحق، أما من ينازع الله عز وجل في القدر ويكون له اعتقاد فاسد في القدر فلن يجد من هذه المعاني أي شيء.

ثم قال: "ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه".

إذا علمنا أن الأمر لله تعالىٰ من قبل ومن بعد وأن الله تعالىٰ قدر الأشياء علمها وكتبها وشاءها وأنه تعالىٰ لا يمكن أن يقع شيء إلا بإذنه فيأتي الأمر المتعلق بك أنت، ولا تجعل قضاء الله وقدره حجة لك في ترك أوامره واجتناب نواهيه، لماذا؟ لأن الله أعطاك مشيئة ...

ولهذا انظر إذا سُلبت الاستطاعة سقط الحكم صلي قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلىٰ جنب، فإذا سُلب -والعياذ بالله- العقلُ سقطت كل الأحكام أنه يتكلم بأقبح الكلام وأنه يفعل ما يفعل فهذا انتهىٰ من التكليف؛ لأنه في حكم غير المستطيع، أما المستطيع فإن الله يحاسبه بحسب استطاعته فلا تجعل قضاء الله وقدره حين تثبته لله عز وجل سببًا في أن تتملَّص أنت مما أوجب الله عليك أو تقع فيما حرم الله عليك، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال تعالىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

ونعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ ما أمر ولا نهىٰ إلا المستطيع، غير المستطيع ما يأمره الله تعالىٰ ولا ينهاه الذي لا يستطيع لا يمكن أن يؤمر ولا أن ينهىٰ والله تعالىٰ أحكم من أن يأمر غير المستطيع، غير المستطيع لا يؤمر إنما الكلام علىٰ المستطيع أذن المؤذن الآن الناس شتىٰ زرافاتٍ ووحدانًا هذا يذهب بيانًا؛ لأنه قد يذهب إلىٰ موضع ليفجُر فيه في وقت الصلاة، بينما آخرون يأتي فتجد بعض

كبار السن يأتي متكلفًا مجتهدًا قد يكون بينه وبين المسجد مئة متر فيأخذ فيه نحو عشرين دقيقة حتىٰ يصل إليه، وفي بعض الأحيان يكون شرعًا غير مُلزم بالحضور وقد يأتي زحفًا علىٰ يديه ورجليه ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧]، نسأل الله الكريم من فضله، فالعبد ما أمره الله تعالىٰ ولا نهاه إلا إذا كان مستطيعًا، ولهذا الأمر الذي أُمر بفعله أو الترك الذي أُمر باجتنابه، وأن الله لم يجبر أحدًا علىٰ معصية ولو اضطره إلىٰ ترك طاعة، ولهذا ماذا يقول الشيطان عياذا بالله عز وجل؟ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم:٢٢].

قال الحسن البصري رحمه الله: والله ما أخذ عصا ولا ضربهم إنما أمرهم فأطاعوه.

وإلا ما في أحد يجهل أن الزنا حرام وأن الربا حرام ولو جهل وعُلم إن كان صادقًا كفىٰ، ومع ذلك يُقدم علىٰ ما حرم الله عيانًا وهو يعلم، الآن نسأل الله أن يحفظ علينا وعليكم جميعًا أسماعنا وأبصارنا انظر الآن فتنة الأسماع والأبصار يعني الزنا نسأل الله العافية كثير من المسلمين حاجز كبير جدًّا بينه وبين الزنا؛ فالزنا أمر موحش، موحش، لكن الأمور دون الزنا وهي المقدمات التي قد توصل إلىٰ الزنا مثل السمع والبصر إذا أطلق فيما حرم الله، فهذا الذي أطلق

بصره فيما حرم الله وصار يتفرج في النساء، ما بينها وبينه إلا هذه الشاشة في جواله يجهل الحكم هو؟ لا ما يجهل الحكم هذه العين التي أعطاك الله عز وجل أراد الله منك أن ترسلها في هذا؟ يقول: لا والله أتدري أن هذا قد يوردك من المهالك؟ قال تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [الأنعام:١٥١] يعني الخطوات قد توصلك إلىٰ الفاحشة ما تعرف الحكم؟

بلىٰ أعرف الحكم طيب ما الذي يجعلك علىٰ هذا عشر عشرين ثلاثين أربعين خمسين سنة بعضهم في الثمانين يقول وينظر إلىٰ هذه المحرمات يجهل؟ لا ما يجهل؛ ولهذا الله تعالىٰ يحاسب العبد ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، مثلما حرم الله عليكم سماع الغناء وسماع الاستهزاء والسخرية من المسلمين ونحو ذلك كل هذا مما حرم الله تعالىٰ عليك، تجهل وأكثر الناس ما يجهل؛ ولهذا الله تعالىٰ وجه الأوامر والنواهي للمستطيع وسيحاسبنا ونسأل الله أن لا يشدد علينا الحساب ولا يناقشنا لأن من نوقش الحساب عُذب" كما في الحديث، لكن هذه الأمور جلية وواضحة ولا تخفىٰ علىٰ عموم المسلمين، وقد تخفىٰ علىٰ جاهلٍ لبعض الأحكام لكن في العموم الأغلب فأكثر الناس يعلمون الأحكام حتىٰ من يقعون في الربا ويذهبون إلىٰ الربا وقد يكونون من أهل الصلاة ومن أهل الصوم فهم

يعلمون أنهم يتعاملون بالربا، ما هي المسألة خفيت عليهم أو نحو ذلك لا هم يعلمون هذا نسأل الله أن يمن علينا وعلىٰ المسلمين بالعودة الصادقة إليه.

ثم أورد قوله تعالىٰ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] الوسع والطاقة التي في الإمكان هي التي يكلف الله تعالىٰ العبد بناءً عليها وقال تعالىٰ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] يعني كل هذا إثبات أن العبد له استطاعة، وقال تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٧]؛ فالله لا يظلم مثقال ذرة، قال: فدل علىٰ أن العبد فعلًا وكسب عكس ما تقول الجبرية يُجزىٰ علىٰ حسنِه بالثواب وعلىٰ سيئه بالعقاب وهو مع ذلك واقع بقضاء الله وقدره.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وبعد:

[فصلٌ]

[الإيمان قول وعمل]

والإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] فجعل عبادةَ الله تعالىٰ وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كلَّه من الدين، وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق». فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] وقال: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا﴾ [الفتح: ٤] وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «يخرجُ من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقالُ بُرَّةٍ أو خرْدلةٍ أو ذرةٍ من الإيمان» فجعله متفاضلاً.

بسم الله الرحمن الرحيم، تكلم عن الإيمان والإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة كما ذكره رحمه الله تعالىٰ: "قولٌ باللسان" بأن ينطق بلسانه ويتشهد بالشهادتين كما قال صلىٰ الله عليه وسلم: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكُن أولَ

ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله» بأن يقولوها وينطقوها، "قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان" يعني بالجوارح، "وعقدٌ" أي اعتقاد "بالجنان" والجَنان بفتح العين هو القلب يعني أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، هذا الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ لأن الإيمان ليس شيئًا واحدًا وإنما شُعب كما قال صلىٰ الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شُعبة» يعني أنها أجزاء وليس شيئًا واحدًا، الذين يقولون إنه شيء واحد هم الخوارج والمعتزلة، يقولون شيء واحد، يفعل الإنسان جميع ما أوجب الله ويترك ما حرَّم الله فإن قصر ارتفع الإيمان فيكون كافرًا، والمرجئة مع أن المرجئة علىٰ الضدِّ من الخوارج إلا أنهم يقولون أيضًا: إن الإيمان شيء واحد، ولكن يقولون هو في القلب فقط مجرد معرفة القلب أو تصديقه، ويزعمون أن الناس فيه سواء وقد أكذبتهم النصوص في القرآن والسنة علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الزيادة تكون حتىٰ في القلب، فإيمان محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لا يمكن أن يكون مثل إيمان غيره من الناس في قلبه وفي يقينه فيتفاوت الناس، ولذلك قال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق علىٰ نفسه" يعني يخاف النفاق الأصغر الذي هو الرياء – "ما منهم أحد يقول: إيماني مثل إيمان جبريل أو ميكائيل".

فإيمان الملائكة وإيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعظم الإيمان فهو يزيد وينقص، وإيمان العاصي الذي قصر أيضًا عنده إيمان ولكنه إيمان ناقص، ثم أورد قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

يقول: فجعل عبادة الله تعالىٰ وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين أيضًا قد ينتقده من لا يدري بهدفه، يقول: وهل يشك في هذا أحد؟ المرجئة تخرج العمل من الإيمان، جميع طوائف المرجئة كلها وسميت مرجئة لأنها ترجئ يعني تؤخر العمل عن الإيمان من غلاتهم إلىٰ مرجئة فقهاء الكوفة كلهم يرون إخراج العمل، ويرون أن العمل غير داخلٍ في حد الإيمان وهذا من العجائب، العمل سماه الله: إيمانًا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣] يعني صلاتكم إلىٰ بيت المقدس، وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «الطَّهور شطر الإيمان» الطهور: التطهر هذا بالماء شطر الإيمان نصف الإيمان، فكيف تقول: إنه ليس من الإيمان!، وهل يكون النصف خارجًا عن الحقيقة؟ نصف الشيء ليس منه؟ فقولهم عجيب للغاية في الحقيقة، وإخراجهم، ولهذا قال صلىٰ الله عليه وسلم: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا»، «من قام ليلة القدر إيمانًا»، وقال صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث وفد عبد القيس: «آمُركم بالإيمان بالله، هل تدرون ما الإيمان بالله؟» ثم فسرها لهم كما في رواية ابن

عباس رضي الله عنهما، وأخبرهم أن الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يؤدوا الخُمس من المَغنم، فهذه أعمال، فالحاصل: أن مراده بقوله: "فجعل عبادة الله وإخلاص القلب، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة" كلَّه من الدين؛ لأن المرجئة تُخرج العمل من الإيمان، فسمىٰ الله تعالىٰ هذه الأمور دينًا ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، فهذا الذي يسميه الله: "دينًا" كيف لا يكون من الإيمان؟ فالحاصل: أن الخلاف في مثل هذه المسائل يطول مع أهل الباطل ولا شك أن قولهم بالغ السوء؛ ولهذا نقول لإخواننا: إذا أردتم أن تعرفوا حقيقة مذهب الأشعرية وبُعده عن مذهب أهل السُّنة والجماعة انظروا اذكروا ماذا قالوا في الإيمان؟ إذا نظرت إلىٰ ما كتبه أساطينهم كالآمدي، وكذلك الماتردية كالنسفي والسمرقندي ومجموعة منهم لما أتوا إلىٰ هذه المسألة ذمُّوا مذهب السلف ذمًّا٠ صريحًا وبالأسماء، قال بعضهم: هو مذهب الشافعي ومالك وأهل الحديث، وسماه الآمدي بأنه قول الحشوية، وقال أظنه النسفي قال: عليه إشكال ظاهر، بل قالوا: هو قول مبتدع، هنا لما قلنا: إن الأشعرية يخالفون منهج أهل السنة في بعض المسائل يدَّعون أن الصفات السلفُ فيها علىٰ التفويض ورددنا الكلام هذا في أول الدرس، فإذا جاءت مسألة الإيمان في الحقيقة اتضحت الأشعرية علىٰ حقيقتها؛ لأنهم ذموا مذهب السلف صُراحًا ومنهم الرازي أيضًا، مع علمهم بأنه قول السلف وسموه قول مالك

والشافعي وأهل الحديث، ومع ذلك ذموه هذا الذم؛ لأن الأشعرية هم مرجئة؛ مرجئة غُلاة أيضًا؛ لأنهم يرون الإيمان هو مجرد التصديق، ثم ذكر الآيات في الزيادة كقوله تعالىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة:١٢٤]، ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

فالحاصل: أن الزيادة والنقصان في الإيمان دلت عليها النصوص، ومنه الحديث الأخير: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة أو خردلة أو ذرة من الإيمان».

يعني: ما عنده إلا الشيء اليسير من الإيمان حتىٰ إن إيمانه لا يزن إلا مثقال حبة بر أو خردلة أو ذرة، الشيء اليسير للغاية سواء قيل إن الذرة تعادل النمل الصغار هذا، أو الهباء الذي يكون يعني كان هناك مثل الغبار وكان هناك فتحة تدخل معها الشمس فتلاحظ شيئًا يتطاير في نور الشمس، هذا بعضهم قال: هو المراد بالخردلة هذه، فالحاصل: أن معه شيء يسير من الإيمان ومع ذلك هو مسلم، فدلَّ علىٰ التفاضل بين المؤمنين في إيمانهم. نعم.

[فصل]

[الإيمان بكل ما أخبر به الرسول]

ويجبُ الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلىٰ الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع علىٰ حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظةً لا منامًا فإن قريشًا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات. ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلىٰ موسىٰ عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه فرجع إلىٰ ربه فرد عليه عينه. ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل. وعذاب القبر ونعيمه ...

تكلم رحمه الله تعالىٰ بعد ذلك عن أن المنهج العام للمؤمن فيما جاء به النبي صلىٰ الله عليه وسلم: أن يؤمن بكل ما أخبر به صلىٰ الله عليه وسلم؛ لأن شهادة أن محمدًا رسول الله مقتضاها تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهىٰ عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فإذا أخبرنا بأمرٍ من الغيب السابق، أو بأمرٍ من الغيب اللاحق في الآتي، أو أخبرنا بحُكم من الأحكام أنزله عليه ربه تعالىٰ فإنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به وصح به النقل عنه سواء فيما شاهدناه، قد تشهد بعض ما أخبر به عليه الصلاة والسلام وتراه وتعاينه، أو فيما غاب عنا سواء من غيب مضىٰ أو في غيب مستقبَل، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما تمكنا من أن نعقله ونفهمه أو

مما جهلناه لأن هناك أمورًا مرتبطة بالغيب لا شك أنها تُجهل، ولم نطَّلع علىٰ حقيقة معناه؛ لأن الله استأثر بأمور من الغيب لا تستطيع أن تعرف حقيقة هذا الغيب، أن محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم كان في مكة، ثم أُسري به صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ بيت المقدس، ثم عُرج به إلىٰ السماء السابعة، وكلمه الله تعالىٰ كِفاحًا مباشرةً وفرض عليه الصلوات، ثم نزل إلىٰ الأرض وبين كلِّ سماء وسماء كما في الحديث: «بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء وسماء خمسمائة سنة».

وجاء في بعض الروايات: أن كيف بين كل سماءٍ وسماءٍ خمسمائة سنة، النبي صلىٰ الله عليه وسلم وصل إلىٰ هذه المسافات في ليلةٍ ورجع؟! نعم ،كيف؟ قلنا لك أكثر من مرة إن هذه الأمور الغيبية لا يمكن أن يُطَّلع عليها، ومع ذلك سبحان الله العظيم في هذه الأزمنة هذه الأمور، ولكن من الملاحدة في السابق من كان ينكرها بل ويسخر بها، تبدَّت للناس الآن أمور لا نقول إنها مثل تلك الغيبيات لكنها جلَّتها، فأنت الآن لو قيل لك: إن رجلًا من أهل نجد ذهب اليوم في الصباح إلىٰ مكة فأخذ عمرةً ورجع: صلَّىٰ الفجرَ في بلده وأخذ العمرة ورجع وصلىٰ الظهر في بلده، من يصدِّق؟ من مئات السنين من يصدق هذا الكلام؟ ما في أحد يصدق، أليس هذا عيانًا؟

هذه ورقة تأخذها وتضعها في جهاز، ثم ترسلها فتصل إلىٰ الصين في موقف أنت وقفته، المعتزلة يصدقون هذا، يضعون الأدلة والكتب، والفلاسفة ابن سينا وغيره علىٰ أن هذا كلام باطل، وأن هذا من الخرافات فهذه حقيقة أنتم تعايشونها الآن، الآن فيه الجوال، وعِبر في الحقيقة من تأمل يعني هذه الصناعة في الواقع أنها من نعمة الله من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنها من الدلائل علىٰ بعضٍ من الغيب الذي كان يجحده أولئك الملحدون.

جاء في الحديث: أن في آخر الزمان أن الرجل يكلمُ طرفَ سوطِه.

الآن طرف السوط جماد، هذه الآن الجوالات ما أحد يستنكر أن هذا الجوال الآن كأنه يوجهك توجيهًا حتىٰ يوقفَك علىٰ الموضع الذي تريده ويقول لك أنت الآن في هذا الموقع، هذا واقع تراه الآن وهذه كلها خرافات في السابق، بل الطيران والذهاب والإياب وأمور كثيرة جدًّا فإذا كان هذا في عالم الشهادة وقع؛ وقع الآن في عالم الشهادة، مما كان لو عُرض علىٰ المعتزلة والفلاسفة وعلىٰ السابقين لاستسخفوه وردوه، فما بالك بعالم الغيب الذي لا يحيط به إلا الله عز وجل، الآن نحن نُقر بما جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم سواء مما يمكن أن يُفهم ويُعقل أو مما يُجهل لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوىٰ، ثم قال مثل حديث الإسراء والمعراج وتقدم وكان يقظةً لا منامًا ولا شك في هذا ولا ريب أنه يقظة، أما لو كان منامًا وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم

لقريش: إني كنت البارحة نمت ورأيت في منامي كذا وكذا، قالوا نحن أيضًا ما نستغرب أن الإنسان ينام ويرىٰ عجائب في منامه، لكن إنما أنكروه لأنه أخبر أنه كان يقظةً وأن ذلك كان واقعًا لا مجرد رؤية منامٍ مع أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم رؤياه أصلًا رؤياه حق رؤية الأنبياء الحق لكن هو واقع وصلىٰ بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكلمه الله تعالىٰ كفاحًا ورجع من ليلته، ما يمكن أن يصدق هذا إلا مؤمن، فالحاصل: أن مثل هذه الأمور وإن استنكرها من استنكرها فإنها يُقرها المؤمن المهم أن تثبت، أما مجرد الخرافات والخزعبلات أو الأحاديث الموضوعة ونحو ذلك فهذه تُرد علىٰ المتصوفة وأمثالهم من الرافضة ونحوهم، ومن ذلك أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أخبر أن ملك الموت كما في البخاري أتىٰ ليقبضَ روح موسىٰ عليه الصلاة والسلام فلطمَه ففقأ عينه، فقأ عينه في صورة الملك البشرية؛ لأنه يأتي بإذن الله تعالىٰ علىٰ صورة بشر، فلطمه، ففقأ عينه، فرجع إلىٰ ربه وقال: «لولا كرامته عليك لشددت عليه»، فأعاده الله تعالىٰ إليه وقال: قل لموسىٰ: يضع يده علىٰ متن ثورٍ، وما أصابت يده من الشعرات فله بكل شعرة سنة، قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام لعلمه بالله ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن إذًا، سواء طالت المدة حتىٰ صار بهذا العدد الكثير من السنين، أو صار الآن، الموت لابد منه قال: فالآن إذًا، كل هذا حق، المهم: أن يثبت وأن لا يكون مجرد خزعبلات وأمورًا مما يذكره أهل الجهل

من المتصـوفة والمخرفين أنه إذا كان حقًّا واقعًا فإن المؤمن يؤمن به ولا يتردد لحظة ولله الحمد ما يتردد، ولذلك نحن قلنا يعني بعض الأشياء هذه علىٰ سبيل التقريب لها، وإلا المؤمن لو ثبت عن النبي صـلىٰ الله عليه وسـلم أمور من أعجب الأمور غرابة ومما قد يستبعده العقل أشـد الاستبعاد فإن المؤمن يقبله ولا يبالي؛ ولهذا لما سـخِرت المعتزلة وأضـرابُهم من حديث: «أن الذباب إذا وقع في الإناء فإن المسلم يغمسُه فإن في أحد جناحيه داءً وفي الآخر شفاءً».

المعتزلة المسألة عندهم أسهل ما يكون، إذا ما اقتنع بالشيء رده قال يحيله إلىٰ العقل، ثم تجد بإذن الله عز وجل الدلائل علىٰ هذا وأن هذا فعلاً هذا واقع الذباب من الناحية الطبية: أن في أحد جناحية داءً وفي الآخر شفاءً، المسلم قابل لهذا الكلام اكتُشف طبيًّا أو لم يُكتشف، بل لو قال الأطباء: إننا حلَّلنا فلم نجد هذا الكلام، فالمسلم لا يتردد أنه مخطئ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم هو الذي علىٰ الصواب، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك:١٤]، فالحاصل: أن المسلم يُقر بما جاء به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مطلقًا ولا يتردد في هذا، قال ومن ذلك مما يُقر به المؤمن: أشراط الساعة، وأشراط الساعة: علاماتها، وذكر أمثلة عليها كخروج الدجال، ونزول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام فيقتل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وكذلك خروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل، أي شيء يصح

به النقل عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم من مثل هذه الأمور أو غيرها فالقاعدة عندك أنك تقرُّ به، الفائدة مما صحَّ به النقل حتىٰ يَعرِف. رجل من أهل السنة ليس مثل المخرفين من أهل الشيعة تسمع كثيرًا من هؤلاء المعمَّمين الكذَبة، أو من المخرفين من الصوفية وكذا. طلع له كتابٌ يريد أنه يخرُج يقول هذا الكتاب أعطاني إياه النبي صلىٰ الله عليه وسلم في المنام فيتهالكون عليه كتاب رسول الله! ويضحكون بهم ويسخرون بهم، ثم قال ابن عربي في كتاب: "فصل الحكم" قال: أهداه إليَّ في المنام، وهو كتاب زندقة وإلحاد كفَّره به العلماء لكن حتىٰ يلعبوا بالناس يقول كتبه لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أو دفَعه إليَّ وقال، فمثل هذه الأمور لا يمكن أن يقبلها السُّني؛ لأنها من الخزعبلات والخرافات.

ولهذا ولله الحمد في المحيط السُّني لو رُبِّي الناس علىٰ السُّنة تجدهم أنهم علىٰ أكمل ما يكونون من الخضوع لله ولرسوله صلىٰ الله عليه وسلم، وفي الوقت نفسه علىٰ أشد ما يكونون من البعد عن مثل هذه الخرافات والخزعبلات ما تمشي عليهم ولا يمكن أن تمشي حتىٰ علىٰ عاميهم، العامي إذا سمع مثل هذه الأمور توقف وسأل علماءه، أما هؤلاء فيعبث بهم أهل التصوف وأهل الرفض ويعبثون بهم هذا العبث، المهم أن يصح به النقل فإذا لم تدرِ هل صح أو لم يصح فتسأل أهل العلم: هل هذا مما صح أو لم يصح. نعم.

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي صلىٰ الله عليه وسلم منه، وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكيرٍ حقٌّ، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفُخ إسرافيل عليه السلام في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

تكلم عما يقع في القبر والذي يقع في القبر أمران:

الأمر الأول: فتنة القبر، وهو سؤال الملكين للعبد عن ربه ودينه ونبيه صلىٰ الله عليه وسلم.

والثاني: إما أن يُعذب عياذًا بالله أو أن يُنعم، فإن كان من أهل الجنة فُتح له باب إلىٰ الجنة وأتاه من ريحها وطيبها نسأل الله الكريم من فضله، ودعا الله أن يقيم الساعة؛ لأنه اطمئن إلىٰ أنه في الجنة قال: «ربِّ أقم الساعة»، وإذا كان عياذًا بالله علىٰ الحال الذي عليه أهل النار فُتح له بابًا إلىٰ النار وعُذب في قبره، فيما يتعلق بعذاب القبر المتعلق بالموحدين أعاذنا الله وإياكم هو علىٰ نوعين:

- نوع مستمر نسأل الله السلامة والعافية إلىٰ قيام الساعة كما في حديث سمرة.

- ونوع ينقطع.

فممن يُعذب إلىٰ قيام الساعة نعوذ بالله رجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، والمراد بعدم قيامه به في الليل كما في اللفظ الآخر: ينام عن الصلاة المكتوبة، يعني أنه يترك مثل صلاة الفجر عياذًا بالله، مع أن الله علمه القرآن، فدل علىٰ أن التخلف عن الصلاة المكتوبة ولا سيما إذا علمه الله القرآن ثم لم يعمل فيه بالنهار، يعني لا استفاد من هذا العلم الذي تعلمه لا في ليله ولا في نهاره فثبت أنه يعذب إلىٰ قيام الساعة، وهكذا الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، يعني قد يكذب كذبة لا تنتشر فيؤاخذ علىٰ كذبه، لكن الكذبة التي تنتشر كالكذب الآن الذي يحدث من وسائل التواصل الاجتماعي، وربما في بعض الأحيان يكون هزلاً ومزاحًا فارغًا، أو يكون بكذب وسائل الإعلام فهذا يدخل في الحديث؛ لأنها تبلغ الآفاق في بعض الأحيان، الكذبة هذه تهتز لها الأسواق في العالم ويكون لها آثار، بعض الناس قد يريد السفر فيمتنع من سفره، بعض الناس يسمع الكذبة هذه فيعزم علىٰ السفر فهزَّ الناس هذه الهزة فهذا يُعذب وثبت أنه يُعذب قال: "يُصنع به هكذا إلىٰ قيام الساعة". ومنه عذاب منقطع نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من شره كله.

قال: "والبعث بعد الموت" وهذا واضح لكل مسلم أن الله يبعث هذه الخلائق بعد الموت بعد أن ينفخ إسرافيل في الصُّور، والصور قرن ينفخ فيه الله

أعلم بهيئته ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١] يخرجون من هذه القبور. نعم.

ويُحشر الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرْلًا بُهما، فيقفون في موقف القيامة حتىٰ يشفع فيهم نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، ويحاسبهم الله تبارك وتعالىٰ وتُنصب الموازين، وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلىٰ الأيمان والشمائل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] والميزان له كِفتان ولسانٌ تُوزن به الأعمال ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]. ولنبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم حوض في القيامة ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلىٰ من العسل، وأباريقُه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا.

والصراط حق يجوزه الأبرار، ويزِلُّ عنه الفجار، ويشفع نبينا صلىٰ الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحُممًا فيدخلون الجنة بشفاعته ولسائر الأنبياء والمؤمنين

والملائكة شفاعاتٌ. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

تكلم رحمه الله عن جملة من مسائل القيامة بعد أن ذكر البعث، منها: الحشر، وأن الناس يُحشرون كما خلقهم الله عز وجل ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، الإنسان يأتي إلىٰ هذه الدنيا حافيًا بلا نعال عاريًا بلا ثياب، غُرلاً" وتقدم بيان معنىٰ قوله: غرلاً " فيقفون في موقف القيامة في موقف هائلٍ عظيم ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، فهذا الموقف العظيم موقف القيامة من المواقف التي جاءت النصوص بذِكر أحوال متفاوتةٍ كثيرة للناس فيها، فمنهم نسأل الله الكريم من فضله من يظلهم الله تعالىٰ في ظله، وهم السبعة المذكورون في الحديث، ومنهم من يكون في ظلِّ صدقته؛ فالصدقة أمرها عظيم حتىٰ لو بشق تمرة، بقدر ما يُكثر الإنسان من الصدقاتِ ولو بشيء يسير بقدر ما يكون في ظل صدقته كما في الحديث: «أن العبدَ في ظل صدقته يوم القيامة». بقدر ما يُكثر من الصدقات بقدر ما يكون له من الظل، نسأل الله الكريم من فضله، يقفون في هذا الموقف وتظهر أحوالٌ نسأل الله أن لا يفضحنا يا رب، تظهر أحوال كثيرة للناس ما كانت معروفة عنهم، ومنهم الغادرُ، فالغادر يُنصب له لواءٌ يقال: هذه غدرةُ فلان بن فلان، ويُخص بها ويُفضح في الخلائق عياذًا بالله، ومنهم المتكبرون نسأل الله العافية المتكبرون يُحشرون يوم

القيامة أمثال الذرِّ، الذرُّ: هو النمل الصغير، والنمل أنواع منه النمل الأسود ومنه النمل الأحمر اللون كأنه مائل إلىٰ الحمرة هو من أصغر أنواع النمل لمَّا تكبر وتفاخر، في القيامة يُحشر هذا الحشر، يطؤهم الناس بأقدامهم في أحوال القيامة، وكذلك من يكون له حال يأتي في القيامة؛ الذي يمنع الزكاة يُعذَّب بأنواع ما كان سواء كان صاحب إبل أو بقر أو صاحب أموال، فأمر القيامة وأحواله وأهواله عظيمة جدًّا وهي من أعظم ما يُعين المسلم علىٰ ترك الحرام، من أعظم ما يعينك علىٰ أنك تترك هذا المنظر، مناظر النساء جميلة والنفوس تميل إليها؛ ولهذا قال صلىٰ الله عليه وسلم: «اصرفْ بصرَك» انظر لا شك أن المنظر هذا مما يشد الناس، فلماذا هذا المسلم يصرف نظره؟ لأجل مثل هذه المواقف، وهكذا المال، المال ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠].

فيه طُرق كثيرة لتحصيله بالرِّبا وبالشبهات وبالرشوة، لكن المسلم يعلم أن وراءه مثل هذه المواقف، فمثل هذه المقامات العظيمة من أعظم ما يعين الإنسان، كذلك القاطع لرحمه، كذلك العاق لوالديه، كذلك الواقع في أمورٍ من الفواحش ونحو ذلك، هذه تعينه علىٰ نفسه؛ لأن النفوس بحاجة إلىٰ أن يعينك الله تعالىٰ عليها، فتدعو: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، تستعيذ بالله من شر نفسك، تشكو نفَسك إلىٰ الله عز وجل، أعوذ بك من شر نفسي، الحاصل: أن هذا الموقف يعني في القيامة يطول الكلام الحقيقة فيه، لكن فيه أعظم ما يعالج

قسوة القلب بإذن الله تعالىٰ، يقول: "حتىٰ يشفع فيهم نبينا صلىٰ الله عليه وسلم ويحاسبهم الله". هذه الشفاعة العظمىٰ.

يأذن الله تعالىٰ بالشفاعة بعد أن يطلبوا من آدم أن يشفع لهم عند ربهم فيُحيلهم إلىٰ نوح، ثم يحيلهم نوح إلىٰ إبراهيم، ثم يحيلهم إبراهيم إلىٰ موسىٰ، ثم موسىٰ إلىٰ عيسىٰ، ثم إلىٰ محمد صلىٰ الله عليه وعليهم وسلم تسليمًا كثيرًا، فيقول: أنا لها، فيأذن الله تعالىٰ بالشفاعة، يحاسبهم الله وتُنصب الموازين ويأتي الكلام عن الميزان إن شاء الله وتُنشر الدواوين؛ كل عبد له صحيفة أعمال وتتَطاير صحف الأعمال إلىٰ الأيمان والشمائل،

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[الانشقاق:٧-١٢].

من أخذ الكتاب بشماله فهو من الهالكين، ومن أخذه بيمينه فهو من الناجين، إلىٰ غير ذلك من الأحوال العظيمة التي فيها ما يُلِيِّن القلب وفيها ما يحتاج معه الدعاة إلىٰ الله وخطباء الجوامع إلىٰ تنبيه الناس عليه، والحاجة إلىٰ الوعظ والتذكير به، ثم ذكر أن الميزان له كِفتان لا يحيط بهما إلا الله عز وجل توزنُ به الأعمالُ، فمن ثقلت موازينه يرىٰ بنفسِه مثل الكتاب: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ

بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤] الله يعلم، لكن هذا من إقامة الحُجة عليك ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ ينظر ما الذي فعله.

وهكذا الميزان تُوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فإن رجحت حسناته نجىٰ ولو بحسنةٍ واحدة، وإن رجحت عياذًا بالله سيئاته ولو بسيئةٍ واحدة هلك إلا أن يرحمه الله ضعفه، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]. أعظم خسارة، المال تخسره يُعوض، حتىٰ الأهل قد يموتون فتتزوج ويعود، لكن إذا خسر الإنسان نفسه نسأل الله العافية خسروا أنفسهم ﴿في جهنم خالدون﴾ [١٠٣]. نعوذ بالله من أهل النار، ثم ذكر أيضًا جملةً مما يكون في القيامة، من ذلك: أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم له حوض في القيامة، هذا الحوض والحوض هو مجمع الماء، والماء الذي فيه ليس ماءً عاديًّا لأنه يُمد من الجنة نسأل الله الكريم من فضله، ماؤه صار علىٰ هذا الوضع أشد بياضًا من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء من شَرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، لأنه ليس ماءً عاديا، هذا الماء يرده الناس عِطاشًا فيُحال عياذًا بالله بين المرتدين وبين هذا الماء، ويحال أيضًا بين بعض العصاة، ظاهر النصوص: أنه حتىٰ بعض العصاة عياذًا بالله يُحالون، وأصحاب البدع والإحداث أشد ذمًّا من أصحاب المعاصي، ولهذا تذودهم الملائكة ويطردون

طردًا كما تُطرد الإبل عياذًا بالله كما يطرد الإنسان إبل غيره يعني حتىٰ لا تختلط إبله بإبله، فهذا الحوض من ورده نسأل الله الكريم من فضله وشرب لم يظمأ بعده أبدًا.

ثم ذكر ما يتعلق بالصراطِ، والصراطُ: جسرٌ يكون علىٰ متْن جهنم -عياذًا بالله من النار- من تجاوز هذا الصراط سلِم من النار فيكون من أهل الجنة، ومن سقط من الصراط فهو من أهل النار -عياذًا بالله- الذي يسقط من هذا الجسر يكون في جهنم.

يقول: "يجوزه" يعني يتجاوزه الأبرار، "ويزل عنه الفجار" أعاذنا الله من حالهم ومآلهم، ثم ذكر أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يشفع فيمن دخل النار من أمته، والشفاعات أكثر من نوع للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، ومنها الشفاعة فيمن دخلوا النار من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته صلىٰ الله عليه وسلم بعدما احترقوا، فتصيبهم عياذًا بالله النار حتىٰ يكونوا فحمًا مع أنهم من المسلمين، فما بالك بالكفار ؟! الكفار أشد عذابًا، فيدخلون الجنة بشفاعته صلىٰ الله عليه وسلم.

ثم قال: "ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات" فتشفع الملائكة ويشفع الأنبياء ويشفع المؤمنون أهلُ الصلاح، وفي الحديث: «لا يكون اللعانون شفعاءَ ولا شهداءَ يوم القيامة» طهِّر لسانك من اللعن، كثرة اللعن تكون سببًا في

أن لا تكون شـفيعًا في القيامة، فيشـفعون بإذن الله لأهل الكبائر ويخرجون من النار بإذن الله لأنهم من أهل التوحيد، أما من كان مشـركًا فلا نجاة له الذي يلقىٰ الله مشـركًا ويعبد غير الله أيًّا كان المعبود قبرًا حجرًا شـجرًا فإنه عياذًا بالله أبعد الناس عن الشـفاعة، ولهذا قال النبي صـلىٰ الله عليه وسـلم لأبي هريرة لما قال: «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، فيقولها بلسـانه ويعمل بما يجب أن يترتب عليها، ويعمل بما يترتب عليها من إفراد الله تعالىٰ بالعبادة.

ثم ذكر قوله: ﴿وَلا يَشْـفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَـىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْـيَتِهِ مُشْـفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨] يُشير إلىٰ شرط الشفاعة، وأن الله تعالىٰ جعل للشفاعة شرطين:

الشرط الأول ذكره هنا وهو رضا الله عن المشفوع له.

وهناك شـرط آخر هو المذكور في مواضـع أخرىٰ من كتاب الله، مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشرط الثاني: هو أن يأذن الله بالشفاعة؛ ولهذا قال: "ولا تنفع الكافر شفاعة الشـافعين"، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَـفَاعَةُ الشَّـافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].

نعم.

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان؛ فالجنة مأوىٰ أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلَّدون ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٥] ويؤتَىٰ بالموت في صورة كبش أملَح، فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت».

ذكر المستقر الأخير كما قال تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ:٧] بعد أن يقف الناس هذا الموقف في القيامة يحاسبهم الله عز وجل فيصيرون علىٰ الفريقين: فريق في الجنة، وهم الذين رحم الله تعالىٰ ضعفَهم وقبِل أعمالهم فيُدخلهم الجنة.

الصنف الثاني: من يكونون في النار، والذين في النار كما علمتَ من التقسيم علىٰ نوعين: منهم الكفار وهم باقون فيها أبد الآباد، ومنهم أهل الكبائر وهم الذين يخرجون من النار ويصيرون إلىٰ الجنة، الجنة والنار مخلوقتان الآن ردًّا علىٰ المعتزلة، والمعتزلة عندهم عجائب سبحان الله العظيم، قرروا أن لا تكون الجنةُ والنار موجودتين، لماذا؟ قالوا: هي لا تكون إلا في القيامة، ومن قال: إنها لا تكون إلا في القيامة وأنها لم تُخلق بعد؟ أرأيت النصوص، ألم يقل الله تعالىٰ في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، قال تعالىٰ في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، فذكر الله عذابين:

- عذابًا لآل فرعون في الغدو.

- وفي العشي.

فترتين في أول النهار وفي آخره.

ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يأتيهم يوم تقوم الساعة أشدُّ العذاب يوم تقوم الساعة، إضافة إلىٰ الأحاديث الكثيرة التي ذكر النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه رأىٰ فيها المعذَّبين، ورأىٰ صلىٰ الله عليه وسلم بعضَ المُنعمين، وذكر أن المؤمن يُفتح له في قبره بابٌ إلىٰ الجنة، والكافر يُفتح له باب إلىٰ النار وأدلة كثيرة جدًّا، فهؤلاء لا ينطلقون في نفيهم ولا حتىٰ في إثباتهم من منطلقٍ علمي، وإنما من مجرد ما تقرره أهواؤهم التي يسمونها عقولاً، لا تفنيان الجنة والنار لا تفنيان أبدًا، يبقيان أبد الآباد، ما هنالك فناء لا للجنة ولا للنار، الوارد في الفناء في النار الصحيح أنه في الطبقة المتعلقة بأهل الكبائر، أنت علمت أن أهل الكبائر يخرجون بالشفاعة ويبقىٰ منهم بقية يقول الله عز وجل: «شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع الصالحون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين» فيُخرجهم الله تبارك وتعالىٰ برحمته، انتهىٰ جميع أهل الكبائر، انتهوا من هذا المقام، وهي

الطبقة العُليا وهم أخفُّ أهل النار عذابًا فإذا خرجوا فهذه الطبقة تفنىٰ؛ لأن أهلها خرجوا منها، أما إبليس والشياطين وأهل الكفار فإنهم باقون فيها أبد الآباد ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء:٥٧]، ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧] يستمرون فيها أبد الآباد، فما ورد من أمر أنه يفنىٰ شيءٌ من النار هو المقصود به أنهم إذا خرجوا (أهل الكبائر)، أما إبليس وجنده من الجن والإنس فإنهم باقون فيها عياذًا بالله أبد الآباد.

قال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥] شدةً وبقاءً ليبقىٰ أبدًا نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من حال أهل النار.

"لا تفنيان، فالجنة مأوىٰ أوليائه، والنار عقاب لأعدائه".

ثم ذكر ما ثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: أنه يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح، والمقصود بالموت ليس الملك ملك الموت، إنما المقصود الموت نفسُه، نحن أحياء ما رأينا الموت، لكن كل من مات فسيرىٰ الموت، ولهذا في الحديث: أنه يؤتىٰ به في صورة كبش أملح فيقال: يا أهل الجنة أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول صلىٰ الله عليه وسلم: «وكلهم قد رآه»، لأنهم يرونه قبل أن يموتوا، فيُذبح بين الجنة والنار ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت» فيزداد أهل الجنة فرحًا إلىٰ فرحهم نسأل الله الكريم من فضله، «ويا أهل النار خلود فلا موت» فيزدادون عياذًا بالله تعاسةً إلىٰ تعاستهم؛ لأنهم يأملون الموت، غاية

أمانيهم أن يموتوا، فإذا ذُبح الموت عُلم أنهم باقون أبد الآباد، وهذا في أهل الكفر.

[فصل]

[محمد خاتم النبيين]

ومحمد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتىٰ يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقضىٰ بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمةٌ إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام ..

هذا الموضع في شأن حقوق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومقامه عند الله تعالىٰ وعند المؤمنين، فهو خاتم النبيين؛ فلا نبي بعده عليه الصلاة والسلام، وهو سيد المرسلين، وإذا كان سيد المرسلين فهو سيد بني آدم جميعًا؛ لأن أفضل بني آدم هم الرُّسل فهو سيدهم عليه الصلاة والسلام علىٰ الإطلاق، وهو أفضل الأنبياء علىٰ الإطلاق، ولا يصح إيمان عبدٍ حتىٰ يؤمن برسالته، يعني الذين أدركوا النبي صلىٰ الله عليه وسلم وكانوا مستمسكين بما عليه موسىٰ أو

عيسىٰ عليهم الصلاة والسلام، فإنه لا يصح إيمانهم إلا إذا آمنوا بمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم؛ لأن رسلهم قد أخذت عليهم الميثاق إن بعث الله محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم أن يتبعوه، فمن لم يتبعه فقد كفر بذلك النبي وبمحمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم.

"ولا يصح إيمان عبدٍ حتىٰ يؤمن برسالته ويشهد بنبوته"، وهو أنه نبي رسول صلىٰ الله عليه وسلم وجمع الله تعالىٰ له بين النبوة والرسالة، ولا يُقضىٰ في قيامته بين الناس إلا بشفاعته كما تقدم، وأول من يدخل من الأمم الجنة أمته من فضل الله ومنَّته، نسأل الله الكريم من فضله، مع أنها آخر الأمم إلا أنها أول الأمم دخولًا لكرامة نبيها وكرامتهم علىٰ الله.

صاحب لواء الحمد يحمله صلىٰ الله عليه وسلم يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، يقول: «وبيدي لواء الحمد» عليه الصلاة والسلام كما في الحديث الصحيح. "والمقام المحمود" وهي الشفاعة العظمىٰ التي يحمدها عليها الخلائق؛ لأن الله يقبل شفاعته، "والحوض المورود" تقدم، "وهو إمام النبيين وخطيبهم وسيدهم وهو إمامهم وخطيبهم صلىٰ الله عليه وسلم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير الأصحاب. نعم.

وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم عليٌّ المرتَضىٰ رضي الله عنهم أجمعين؛ لما «روىٰ عبد الله بن عمر رضي الله

عنهما قال: كنا نقول والنبي صلىٰ الله عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فلا ينكره».

وصحَّت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: "خيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث"، وروىٰ أبو الدرداء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين علىٰ أفضل من أبي بكر»، وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم لفضله وسابقته، وتقديم النبي صلىٰ الله عليه وسلم له في الصلاة علىٰ جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم علىٰ ضلالةٍ، ثم من بعده عمر رضي الله عنه؛ لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه؛ لتقديم أهل الشورىٰ له، ثم علي رضي الله عنه؛ لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ» وقال صلىٰ الله عليه وسلم: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة» فكان آخرُها خلافةَ علي رضي الله عنه.

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بنُ عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وكل من شهد له النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالجنة شهِدنا له بها كقوله صلىٰ الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شبابِ أهل الجنة» وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة».

ولا نجزم لأحد من أهل القِبلة بجنة ولا نار إلا من جزَم له الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، لكنَّا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء.

تكلم بعد ذلك عن أفضل هذه الأمة بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وقد اتفق المسلمون علىٰ أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلىٰ الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله ليُبعث بينهم وهم الصحابة، وهم الذين قال الله ونزل الخطاب وهم أحياء ﴿كنتم خير أمة﴾ وهم الصحابة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وهم علىٰ درجاتٍ؛ منهم: المهاجرون، ومنهم: الأنصار، ومنهم: أهل بدر، ومنهم: من آمن قبل الفتح، ومنهم: من آمن بعد الفتح وهو صلح الحديبية، أفضل الأمة علىٰ الإطلاق هو أبو بكر بعد النبي صلىٰ الله عليه وسلم هو أبو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنه، وهذا محل اتفاق أهل السنة لا يخالف فيه إلا الرافضة، عثمان رضي الله عنه علىٰ الصحيح هو الثالث، وهذا الوضع معلوم

زمن النبي صلىٰ الله عليه وسلم كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نقول والنبي صلىٰ الله عليه وسلم حي: «أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان». هذا الحديث.

كلمة: "ثم علِي" هذا خطأ هذا إدخال في .. نعم علي كما سيأتي هو الرابع بعدهم، لكن ليست في كلام ابن عمر وإنما هذه مما يعني من الأخطاء التي في النسخ، حتىٰ في بعض النسخ السابقة ما كانت فيها فيمكن أنها زلة من هذا الطابع أن يعلم أن ترتيبهم هكذا قال: "ثم علي" لكن هذا لفظ ابن عمر في الصحيح ليس فيه: "ثم علي".

وفيه أن المهم في هذا الموضوع أن هذا هو التفضيل الوارد في زمن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهو مستقر عند الصحابة رضي الله عنهم، فيبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وسلم فلا ينكره، وهذه الزيادة صحت أيضًا أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم يسمع هذا، ولو كان هذا من الباطل لما أقرَّه عليه الصلاة والسلام، من أهل العلم من قال: إن عليًّا أفضل من عثمان، ولا شك أن هذا قول ضعيفٌ وإن كان قال به بعض أهل العلم، لكن الذين قالوا: إن عليًّا أفضل من عثمان لا يتعرضون مطلقًا لتفضيل علي علىٰ أبي بكر، يقول أهل العلم: من فضَّل عليًّا علىٰ أبي بكر وعمر فهو رافضي يُعد من الروافض لأن هذا أمر متفق

عليه، وثبت عن علي من وجوه رضـي الله عنه أنه قال: "خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر"، وهذا أمر معلوم يعني مستقر عند المسلمين.

وجاءت مسألة التفضيل بين علي وعثمان رضي الله عنهما، فمن أهل العلم من قال: عثمان علىٰ فضله لكن هو الرابع، والصحيح: أن عثمان هو الثالث لهذا الأمر المسـتقر في زمن النبي صـلىٰ الله عليه وسـلم، ولأمر آخر عظيم وهو: أن الصـحابة رضـي الله عنهم بعدما جعل عمر رضـي الله عنه الأمر في أهل الشـورىٰ السـتة ومنهم عثمان وعلي اتفقوا جميعًا بعد أن حصـر الأمر في عثمان وعلي اتفقوا كلهم ولم يخالف في هذا واحد علىٰ تقديم عثمان علىٰ علي مما يدل علىٰ أنه مستقر هذا الأمر أن عثمان أفضل من علي رضي الله عنهم أجمعين.

وذكر ما يتعلق بتفضيل علي رضـي الله عنه لأبي بكر وعمر علىٰ نفسه وهذا أمر معلوم، ترتيبهم في الفضـل مرتبط بترتيبهم في الخلافة، فلأن أبا بكر أفضـل الصحابة جعلوه الخليفة بعد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولأن عمر بعد أبي بكر وهو أفضـل عينه أبو بكر، ولأن عثمان هو الأفضـل بعد عمر اتفقوا عليه وعينوه، ثم لما بقي بعد قتل عثمان رضـي الله عنه بقي الأمر في الصـحابة بايعوا عليًّا مباشـرة رضـي الله عنه فدل علىٰ ترتيبهم في الفضـل أن ترتيبهم في الفضـل مربوط بترتيبهم في الخلافة عليهم رضـوان الله، واتفقوا جميعًا علىٰ بيعة الثلاثة قطعًا، أما فيما يتعلق بـعلي فما تأخر أحد عن بيعته، وقال إن عليًّا لا يسـتحق،

لكن جاءت مسألة قتل عثمان رضي الله عنه وهي فتنة عظيمة لم يكن للمسلمين بها عهد حتىٰ قتل عمر؟ قتل عمر قتله كافر وهذه مسألة واضحة، لكن يأتي أُناس يزعمون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقتلون خليفة المسلمين في المدينة، هذا أمر لا يُعهد؛ نازلة من النوازل، فلهذا كان بعض الصحابة يقول: لابد من قتْلِ قتلةِ عثمان ...

وعليٌّ رضي الله عنه وعنهم أجمعين يقول: لا يمكن أن يُقتلوا حتىٰ يستقر الأمر فمن ذلك نشأ الخلاف، أما أن أحدًا يقول: علي لا يستحق، ما في مطلقًا، كلهم يعني طلحة والزبير بايعهم، معاوية رضي الله عنه ثبت عنه بسند صحيح أنه لما قال له أبو مسلم الخولاني: أتقاتل عليًّا أفأنت مثله؟! قال: والله إني لأعلم أنه خير مني وأوْلىٰ بالخلافة مني، ولكن ألستم تعلمون أن ابن عثمان ابن عمي وأنا وليُّ دمه فليدفع إليَّ القتلة ولأسلمهم له. فكانت المسألة ليست في أصل خلافة علي، وإنما الخلاف في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، والواجب الترضِّي عن الصحابة جميعًا بدون استثناء مطلقًا، كل من ثبت له شرف الصحبة، والصحابي: هو من لقي النبي صلىٰ الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك، كل صحابي فلا يحل التعرض له مطلقا مهما كان منه، وكما سيأتينا أنه يجب الكف عما شجر بينهم رضي الله عنهم.

ثم قال: "وهؤلاء" يعني الأربعة – "الخلفاء الراشدون" وهم المذكورون في حديث: «عليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين»، ودلَّ عليه قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة». ثلاثون سنة إذا حسبت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان، خلافة عمر عشر سنين، خلافة عثمان اثنتا عشرة سنة، البقية خلافة علي، ومن أهل العلم من يقول: إنه بقي ستة أشهر هي التي تمت بيعة الحسن رضي الله عنه، وكثير من أهل العلم علىٰ أن الخلفاء الراشدين هم هؤلاء الأربعة، فالواجب في حق هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم: هو إحسانُ الاعتقادِ والقولِ فيهم، وسلامةُ القلب واللسان، سلامة اللسان: بأن لا يُتعرض لهم باللسان، وتسلم القلوب من بُغض أو كراهية أحد منهم رضي الله عنهم،؛لأن الله أمر من يأتون بعدهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠]، فأمرهم الله بالاستغفار لهم، فالواجب أن تُطهر الألسن والقلوب من أي مذمَّة للصحابة رضي الله عنهم، وصار الصحابة مثلما قلنا موضوع الصحبة من موضع الممايزة: توضح السُّني من الرافضي.

قد تقول الرافضي واضح، والروافض مثل يعني هؤلاء الروافض الخميني وأصحابه، لا الرفضُ درجات عياذًا بالله، منهم من يتعرض إلىٰ صحابي واحد حتىٰ لو كان في جميع أبواب الاعتقاد سليمَ المعتقد، وكان في باب الصحابة

كلهم سـليمًا لكنه يتعرض لمعاوية، هذا يكفي أن يُجعل به رافضـيًّا ولا يكون رافضـيًّا مثل الروافض هؤلاء لكن يقال: فيك رفضٌ مثلما قلنا في التجهُّم فيه تجهم؛ ولهذا لما قيل لأحمد رحمه الله تعالىٰ: إن رجلاً يتعرض لعثمان رضـي الله عنه؟ قال: ما أُراه علىٰ الإسلام.

أحد يتعرض إلىٰ عثمان؟ ! كيف يتعرض إلىٰ عثمان؟! هذا الرجل يقول: لا أظنه مسلمًا، فلما قيل له: إن رجلاً ينال من معاوية أن يُصلَّىٰ خلفه؟ قال: لا ولا كرامة. يعني ما يستحق فكيف يصلَّىٰ خلف معاوية، عمرو، أبو هريرة، فلان، أيًّا كان من الصحابة رضي الله عنهم فهؤلاء شرفهم الله بصحبته رسوله صلىٰ الله عليه وسلم والواجب الكف عنهم وعدم التعرض لهم؛ لأنه سبحان الله دائمًا أنت عندك جملة من المسائل يا أخي في العقيدة توضح السُّني من البدعي، ففي بعض الناس عنده استعداد أن يُثني علىٰ أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، لكن يقول معاوية: لما ولَّىٰ يزيد، لما فعلَ..، كل هذالا يحلُّ. هل أخطأ أحد منهم؟ ومن قال إنهم لا يخطئون؟! موضع عصمتهم أن يتفقوا علىٰ رأي، أما أن يتصرف أحدًا منهم تصرفًا يصيب فيه أو يُخطئ أو يقع منه معصية؟ نعم لأنهم بشر، لكن انظر بحور الحسنات التي لهم واختيار الله لهم ليكونوا أصحابًا لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم، فكون الإسلام وصل إلينا بفضل الله عز وجل فهو من فضل الصحابة، أين وصل الإسلام إلينا مثلنا هنا في نجد إلىٰ أين وصل؟

الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لما وقعت الردة جاء الصحابة وقاتلوا وقُتل هنا في الجُبيلة من الصحابة رضي الله عنهم عدد كبير جدًّا حتىٰ أخمدوا الردة، طيب من حمل الإسلام إلىٰ الفرس والروم وإلىٰ أنواع البشر إلا الصحابة رضي الله عنهم؟ بحور وبحور من الحسنات، لا تقول: أسلم علىٰ يد فلان من الصحابة فلان، لا، أسلم فلان وتسلسلت ذريته أربعة عشر قرنًا إلىٰ ما شاء الله، وكل هؤلاء أسلموا وكانوا قبلُ مجوسًا أو وثنيين أو نصارىٰ أو يهود كل هؤلاء في حسناته رضي الله عنه، فالحاصل: أن الصحابة لا يتعرض لهم ذو إيمان إلا مَن في قلبه دغَل ونفاق أو عنده جهالة وضعف في إيمانه، فالواجب أن لا يتعرض لهم مطلقًا، هل نشهد لأحد منهم بالجنة؟ نشهد لمن شهد لهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالجنة، وهم العشرة المذكورون في الحديث، وهكذا كل من شهد له النبي صلىٰ الله عليه وسلم بأنه من أهل الجنة؛ كالحسن والحسين وثابت وقيس وبلال وغيرهم رضي الله عنهم؛ أي أحد يثبت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه شهد له بالجنة فإنه يُشهد له بالجنة، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن زوجات النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الجنة، لماذا؟ لأنهن معه في الجنة عليه الصلاة والسلام، وقد أمره الله بأن يخيِّرهن: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

فاخترن النبي صلىٰ الله عليه وسلم وبقينَ في حال من شدة العيش وشظفه وصعوبته فكافأهم الله عز وجل بأن يكنَّ معه عليه الصلاة والسلام، فمعلوم أن زوجة المؤمن التي تكون مؤمنة أنها تكون معه؛ فلذلك هن في الدرجات العالية رضي الله تعالىٰ عنهن وأرضاهن.

ثم قال: "ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار أيضًا". لا نجزم لأحد من أهل القبلة ولو كان من الصالحين والأئمة الأخيار ومن بلغ عدلُهم مثل عمر بن عبد العزيز أو إمامتهم مثل أحمد بن حنبل أو نحوه فلا نستطيع أن نقول: أحمد بن حنبل في الجنة، هذا الصحيح لأن أمره إلىٰ الله عز وجل وما عندنا حديث منصوص.

"ولا نجزم أيضًا لأحد من أهل القبلة بأنه من أهل النار حتىٰ لو كان في المعاصي بالغًا ما بلغ إنما نشهد بالنار لمن عينتهم النصوص، ومن مات علىٰ الكفر، يعني من نعلم أنه مات علىٰ الكفر كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

يعني: يموت علىٰ الكفر يقينًا فهو من أهل النار، فالحاصل: أن الشهادة لا تكون إلا عن نصٍّ منصوص ومهما بلغ الإنسان من الصلاح فلا يُشهد له بالجنة، ومهما بلغ -وهو من أهل القبلة- من الإسراف علىٰ نفسه والمعاصي فلا يُجزم

له بالنار، قال: "إلا من جزم له الرسول صلىٰ الله عليه وسلم"، فإذا جزم الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لأحدٍ بجنةٍ أو نار فإننا نجزم له كما جزمت النصوص بأن أبا لهب في النار، وأن أبا جهل في النار، وأن فلانًا وفلانًا من أعداء النبي صلىٰ الله عليه وسلم وكل من مات علىٰ الكفر فإنه يكون من أهل النار، يبقىٰ من لم يبلُغه الإسلام من أهل الكفر هذا الذي لم يبلغه الإسلام وضع آخر يُمتحن في عرصات القيامة، أما من بلغه الإسلام يقول صلىٰ الله عليه وسلم كما في مسلم: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار».

يقول: "لكننا نرجو للمحسن ونخاف علىٰ المسيء" المحسن يُرجىٰ له رجاء بدون جزم، والإمام أحمد يقول: نرجو له ونخاف عليه أيضًا، ونخاف علىٰ المسيء نخاف عليه خوفًا ولا نقطع، ومع ذلك يرجىٰ له أن الله يعفو عنه بتوحيده. نعم.

ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل، ونرىٰ الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام، برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة. قال أنس: قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «ثلاثٌ من أصل الإيمان: الكفُّ عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفِّره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعملٍ، والجهادُ ماضٍ منذ بعثني الله عز وجل حتىٰ يقاتِل آخرُ أمتي

الدجال، لا يُبطله جورُ جائر، ولا عدلُ عادل، والإيمان بالأقدار» ، رواه أبو داود.

يقول رحمه الله: "ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب". يكون من أهل القبلة وإذا كان من أهل القبلة فهو مصلٍّ، ولهذا يُسمَّىٰ أهل الإسلام بأهل القبلة ويسمون بأهل الصلاة، فإذا كان من المصلين فإنه لا يُكفر بذنب، والمقصود بالذنوب: المعاصي الكبائر؛ كالزنا وشرب الخمر، أما إطلاق أنه لا يُكفر بأي ذنب فخطأ، وأنكره الإمام أحمد؛ ولهذا لما قال رجل له مثل هذه المقالة قال له أحمد: اسكت، ترك الصلاة كفر، فالمقصود إن كان بقوله: لا نكفر أحدًا من أهل القبلة ممن يصلون" نعم لا نكفره بذنب، أما من ترك الصلاة فالصحيح أن ترك الصلاة كفر ولا يدخل في هذه الحالة -علىٰ الصحيح- أهل القبلة.

قال: "ولا نُخرجه عن الإسلام بعملٍ" - عمله من هذه المعاصي والذنوب.

"ونرىٰ الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمام، برًّا كان أو فاجرًا" - الحج ما يصح أن يقوده إلا إمام، ما يصح من مجموعة تقول: سنرتب الحج، نحن فينا كثرة وفينا قوة ونحن كذا .. لا ما يجوز ولو فعلوا هذا لكانوا قد شقوا الجماعة، والحج له قيادة؛ ولهذا عندنا في المملكة ما ... تشعر به لكن تشعر أن الأمور مهيأة وتمشي مع حملةٍ، الحج لابد أن له أميرًا يُعين من قِبل الملك، لابد أن يعين أمير يقوم علىٰ الحج، أيضًا هناك قضاة فييجي مشاكل ييجي من يموت

في أثناء الزحام ونحو ذلك، هؤلاء تظن أنهم يؤخذون ويرمون في القبور، لا، هؤلاء حالهم إذا كان ما في أحد تسبب فإن القاضي يجعل الدية علىٰ غيره، وإذا لم يتسبب فكان عثمان رضي الله عنه يجعل ديته في بيت المال، الأمور ما تكون هكذا، في الحج ينطلق به الناس، نفس الشيء الجهاد والجهاد أخطر أيضًا؛ فالجهاد لابد أن يكون بإذن وليِّ الأمر، هو الذي يحدِّد هل الوقت مناسبٌ للجهاد أو لا، أو تفتح عليه الأمم بُكرةً فتجمع عليه أنواع الشرق والغرب وفتحت لهم الباب حتىٰ يهاجموه ونحن في وطنٍ، غير صحيح، فلا يصح ولا يجوز ولابد من إذن الإمام، وهذا الذي عليه أهل السُّنة، والمخالف في هذا في الحقيقة من العجائب المخالف في هذا من الخوارج عادة، لكن في هذه الأزمنة صاروا يقولون لا نحن نريد أن نقوم بالحج، أنت تعلم أنك إذا شننت الجهاد وشننت الغارة علىٰ بلد من البلدان أنه قد يترتب عليه حرب عظيمة جدا علىٰ بلاد المسلمين قد يعجز المسلمون عن ردها، لهذا أمر الحج وأمر الجهاد تقديره للولاة، أما موضوع الحماس والضيق مما يقع من المسلمين فهذا في نفس كل مسلم، المؤمن مقهور قهرًا مما يفعله أعداء الله تعالىٰ من كثرة الشرق والغرب تلاعبهم بأحوال المسلمين، لكن شن الغارة وشن الجهاد يكون موكولًا إلىٰ ولاة الأمر، ولا يخالف في هذا حقيقة أحد من أهل السنة ينصون عليه نص الأئمة دائمًا، أما الحديث الذي أورده فضعيف ويغني عنه نصوص أخرىٰ.

قوله: "برًّا كان أو فاجرًا". يعني لا نترك الحج نقول: الذي يقوم بالحج الآن رجل فاجر عنده مثلا شرب خمر أو غيره فما يترك الحج معه لأجل فجوره، فجوره عليه، وهكذا الجهاد إذا أمر بالجهاد نقول نجاهد مع شخص يشرب الخمر؟ نعم تجاهد معه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لما سأله رجل قال: إن هؤلاء الولاة يجاهدون علىٰ الدنيا يعني مقصدهم هو الغنائم ونحو ذلك؟ فقال: جاهد أنت علىٰ نصيبك من الآخرة أنت تريد الآخرة جاهد معهم بنيتك، أما أن تترك الجهاد معهم فلا يجوز، إذًا فالحج والجهاد وسائر الشعائر العظام منها صلاة الجمعة وصلاة الجمعة أيضًا الأصل أنها تكون للأئمة وكان الخلفاء هم الذين يتولونها، وكذلك صلاة العيدين إلا إذا ولوا، وتعلم الآن المساجد كثيرة وكذا، الأول لولي الأمر نعم في هذه الحالة يصلي خلف من ولاَّه، ونفس الوضع ما تترك الصلاة خلفهم يقول: لأن هذا فيه كذا وكذا ... إلا إذا كان عليه ملحظٌ عقدي أو شرعي فأنت ترفعه إلىٰ نفس ولي الأمر، تقول: هذا الشخص عنده فساد عقدي وعنده كذا وكذا حتىٰ يغيره نفس ولي الأمر، أما أن تُترك الجمعة؟ لا، ما تُترك، ولا يُترك العيدان، ولا يُترك الحج؛ لأن شعائر الإسلام الكبار لو تُركت لتعطل الإسلام.

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم والكف عن ذكر مساوئهم وما

شجر بينهم. واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠] وقال تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه».

ومن السنة: الترضي عن أزواج الرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوجُ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برَّأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

تكلم بعد ذلك عن الصحابة، وهذا في الحقيقة أنه فيه ترتيب فكان الذي ينبغي أن يتكلم عن الصحابة حتىٰ ينتهي الكلام في الصحابة، ثم يتكلم عن الولاية ولاية الأمر، لكن هو رحمه الله أدخل هذه الجملة بين يعني في أثناء كلامه عن الصحابة، فقال: "ومن السنة" هنا من السنة المقصود العقيدة من الاعتقاد الذي من خالفه ابتدع وليس المقصود من السنة التي يثاب فاعلها ولا يعاقب

تاركها لا إنما المقصود بالسنة في باب الاعتقاد هذا من السنة؛ السنة كذا؛ المقصود في باب الاعتقاد العقيدة الحقة التي من خالفها فإنه مبتدع، "تولي أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومحبتُهم وذكر محاسنهم والترحمُ عليهم والاستغفار لهم والكفُّ عن ذِكر مساوئهم".

الاعتقاد يوجب أن تتولىٰ جميع الصحابة، يقول تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[التوبة:٧١] فالأصل: أنك تتولىٰ المؤمنين جميعًا هؤلاء خيار المؤمنين فتتولاهم أجمعين بدون استثناء، ويلزمك محبتهم جميعًا فتحب عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما معا، ولهذا لما قيل لبعضهم: إنه لا يجتمع حب علي وحب عثمان في قلبٍ واحد؟ قال: وجدنا ذلك في قلوبنا يعني قلبك مريض ... نجس، فإذا لم تستطع ذلك فإنك رافضي أو ناصبي؛ إما تبغض عليًّا وإما تُبغض عثمان، أما السُّني فبحمد الله ومنته قلبه يتسع لمحبة آل بيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ولأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم دون تفريق.

"وذكر محاسنهم" تذكر المحاسن فإذا تكلم الناس عن مساوئ فلان تقول: قبح الله ما فعلتم فله محاسن رضي الله عنه كذا وكذا وكذا وتذكر من محاسنهم وستجد من محاسنهم شيئًا كثيرًا جدًّا ولله الحمد ينغمر فيه ما يُذكر من المساوئ يعني أنه لا يجوز نبش المساوئ هذه، فإنهم رضي الله عنهم يجب أن يقال فيهم

بالجميل، والله تعالىٰ قال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

لهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم"، الله تعالىٰ في القرآن أمرك أن تستغفر لهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله أمر بالاستغفار لأصحاب محمد صلىٰ الله عليه وسلم وقد علِم أنهم سيقتتلون". يعني يقول: لا تتفلسف، الله عز وجل يعلم الغيب، يعلم أن عليًّا سيقاتل معاوية، ويعلم أنه سيقع قتال بين علي وبين طلحة والزبير رضي الله عن الجميع، ومع ذلك أمرك أن تستغفر لهم بنص القرآن، الحديث الذي مر معنا أبو بكر في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة في حديث واحد والله يعلم أنهم سيقتتلون، فليس لك أن تخوض في مثل هذه الأمور وإنما تذكر الجميل والحسن مما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم والاستغفار لهم، والكف عن ذِكر مساوئهم تكف عن ذِكر ما وقع، وقع من فلان كذا وقع منه في التاريخ الفلاني ثبت بسند صحيح أنه قال كذا، هو بشر والله أمرك أن تستغفر له، وأن تكف عن التعرض له، وقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدي لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

المُد "ربع صاع، والنَّصيف" يعني نصف هذا الربع يعني ثمن الصاع من الواحد منهم «لو أنك أنفقت مثل أُحدٍ ذهبًا» ما يقال مقارب لا مقارب لا ما تبلغ

مد أحدهم ولا نصيفه، الإسلام حملوه علىٰ أكتافهم رضي الله عنهم أتاك الإسلام ولله الحمد جليًّا بينًا واضح المعالم، وقد قُتل من الصحابة رضي الله عنهم في الجهاد سواء مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أو في الفتوحات لاحقًا من لا يحصيه إلا الله وجُرح منهم من لا يحصيه إلا الله كل هذا بحال حسناتهم رضي الله عنهم، أنت ما عندك إلا تقول في اليوم الفلاني قال معاوية كذا أو قال علي كذا فهم بشر، يقع منهم ما يقع رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، وقلنا لك: إن الله تعالىٰ نهىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الدعاء علىٰ سهيل وعلىٰ صفوان وعلىٰ أبي سفيان وهم كفار لم يُسلموا بعد وقد فعلوا بالمسلمين في أُحد ما فعلوا وقال أبو سفيان وقهر المسلمين قهرًا: لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم، إلىٰ آخره، حتىٰ اغتاظ المسلمون غاية الغيظ، فدعا النبي صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ هؤلاء وصار يلعنهم بعد الركعتين من صلاة الفجر فأنزل العليم الخبير الذي يعلم أنهم سيسلمون ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨].

فإذا قيل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وهم كفار ذلك الوقت يعني لو ظُفر بهم لجاز قتلهم بلا شك، لكن الله يعلم أنهم سيُسلمون، نهىٰ الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم وهم كفار؛ لأنه يعلم أنه سيتشْرُفون بالإيمان وبصحبة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فكيف يتعرض

أحد لمثل هؤلاء، وهم الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]. وقال عز وجل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، وكل من يأتي بعدهم لابد أن يتبعهم ويتبع بإحسان حتىٰ يرضىٰ الله عنهم ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، وهكذا ما يتعلق بأسماء الصحابة رضي الله عنهم كما سماهم الله وعد الله لهم ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وقال عز وجل عامًّا جميع الصحابة في الوعد بالجنة ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠].

كلهم موعودون بالجنة رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، ثم كما قال شيخ الإسلام في الواسطية يقول يعني تنغمر سيئة الواحد منهم في بحور حسناتهم رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم فلا يتعرض للصحابة إلا إنسان في قلبه مرض، ولذلك انظر من الذي يتعرض للصحابة؟ أخبثُ فرق الأمة علىٰ الإطلاق الرافضة أخبث الفرق هي التي تتعرض للصحابة سبحان الله، يعني المعتزلة - علىٰ قبح معتقدهم- كثيرٌ منهم إذا جاء ذم الصحابة رضي الله عنهم ثاروا لذلك، بل ردوا علىٰ الرافضة، الصحابة باب عظيم من أبواب الاعتقاد فكيف يُتعرَّض للصحابة رضي الله عنهم بالمذمَّة ولا سيما علىٰ الطريقة الخبيثة التي عليها من

تكفير جميع الصحابة وقذف أمهات المؤمنين؟! من الأمور التي تدرك بها أن هذه النحلة في أصلها أنها كما قال شيخ الإسلام: أنها وضعها يهودي وهو عبد الله بن سبأ الخبيث، فالحاصل: أن التعرض لأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، هذا من دلائل خُبث المعتقد وفساده ونية ما عليه هذا الإنسان، وأنه إن بلغ في الجهالة ما لا يحصيه إلا الله تجد يعني من يتوب من الرفض من الشيعة ينهالون يعني بكاءً وندمًا، يقول كيف حياتي وأنا أسب سادتي وخياري، يعني سبحان الله العظيم الآن إيران هذه التي ينطلق منها السب وتوجيه السب لأصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم رضي الله عنهم وأرضاهم هو الذي أنقذكم كان أجدادكم مجوسًا يعبدون النار، وكان فيكم خصلة من أقذر الخصال ليست موجودة لا في الهند ولا في الصين ولا في الفُرس ولا في التُّرك ولا في الروم ولا في أحد كان الفرس الكفار طبعًا نحن لا نتحدث عن الفُرس فالفُرس الآن منهم عدد كبير من أهل الحق ومن أهل الإسلام، لكن نقول: هؤلاء الآن الذين يشنون الحملة علىٰ عمر رضي الله عنه كان أجدادهم من المجوس عباد النار يتزوجون محارمهم عياذًا بالله، فيتزوج الواحد منهم أمه! هذا ما حصل !، يتزوج بنته !، فكتب عمر كما في البخاري: أن فرقوا بين كل ذي رحم من المجوس، حتىٰ لو كان مجوسيا لا يقول هذا ديني لا ما يمكن فانقطعت هذه، ثم هو الذي

أدخل علىٰ أجداكم الإسلام كانوا مجوسًا يعبدون النار، وبقوا علىٰ هذا مدة طويلة.

الحاصل: أن الواجب الكف عما وقع من الصحابة رضي الله عنهم مما زلت به الاجتهادات، ومن العلماء أنهم كانوا مجتهدين بين مجتهد أصاب رضي الله عنه وبين مجتهد أخطأ ينغمر خطؤه في بحر حسناته رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم، ثم أورد قوله عز وجل في الاستغفار لهم وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، إلىٰ آخر الآية، ذكر الله أمرًا في التوراة ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ ثم قال: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، ما يغتاظ من الصحابة إلا كافر ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، بين تعالىٰ أن لا يغتاظ من الصحابة إلا كافر، أما المؤمن فيقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠].

أما يأتي شخص يغتاظ من الصحابة؟ تغتاظ من الصحابة علىٰ ماذا؟ كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مستضعفًا في مكة، فأعانه المهاجرون رضي الله عنهم بما استطاعوا، ثم هاجروا وتركوا أموالهم وديارهم إلىٰ مكة غرباء فقهاء، ثم آواهم الأنصار رضي الله عنهم ورمتهم العرب عن قوس ثم جاهدوا حتىٰ أخضعوا الجزيرة العربية ودخلها الإسلام كاملة، ثم واصلوا رضي الله تعالىٰ

عنهم وأرضاهم حتىٰ أوصلوا الإسلام إلىٰ المشارق والمغارب، فمن يبغضهم؟ الكافر هو الذي يغتاظ منهم، الذي لا يروق له أن ينتشر الإسلام ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، ثم تكلم عن ما يتعلق .. بذكر الحديث «لا تسبُّوا أصحابي»، ثم تكلم عن أمهات المؤمنين رضي الله تعالىٰ عنهن وأرضاهن وهن زوجات رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وهذه التسمية "أمهات المؤمنين" تسمية عظيمة جدًّا، فكيف يسب المؤمن أمه؟ وهذه الرابطة ربطها الله تعالىٰ بنبيه ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

فإذا قال: ليست أمي؟ فكما قالت أمنا رضي الله عنها عائشة لما قيل لها: إن رجلًا يعني نال منك وسبَّكِ فقيل له: أتسب أمك؟ قال: ليست أمي، قالت: صدق، أنا أم المؤمنين أما الكافرون فلست لهم بأمٍّ".

صادقة رضي الله عنها وهذا من فقهها؛ لأن الله جعلها أمًّا للمؤمنين فقال: ليست لي بأم، فأنت أعلم بنفسك، الذي يقول: عائشة ليست بأمي، نقول: أنت أدرىٰ بنفسك، لكن شهدت علىٰ نفسك بالكفر؛ لأنها أم المؤمنين بنص القرآن، فإن كانت ليست أمًّا لك نعم هي ليست أم لليهود ولا النصارىٰ ولا المجوس فكونك واحدًا منهم ومندسًّا بين المسلمين فهذا وضع آخر، أما من كان مسلمًا فهذا أمه جميع زوجات النبي صلىٰ الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين بنص القرآن ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ مطهرات مبرآت من كل سوء رضي الله تعالىٰ عنهن

وأرضـــاهن، لأن الله تعـالىٰ قـال: ﴿وَالطَّيِّبَـاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـاتِ﴾ [النور:٢٦]، فاختار الله لأطيب الطيبين الطيبات رضـي الله عنهن من أمهات المؤمنين، وأفضـلهم خديجة وعائشـة لاحظ كيف فعل؛ لأن هناك خلاف بين أهل العلم هل الأفضـل خديجة أو عائشـة؟ منهم من يقول: خديجة، ومنهم من يقول: عائشـة، فقال: خديجة وعائشـة فقال: خديجة وعائشـة، يعني كأنه يقول وبعض أهل العلم يقول: أنهما في الفضـل سـواء، ومنهم من يقدم عائشـة ومنهم من يقدم خديجة، فقال: أفضـلهم خديجة وعائشـة رضـي الله عن الجميع التي برأها الله في كتابه وهي زوج النبي صـلىٰ الله عليه وسـلم فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم قذفها من قذفها عياذًا بالله بالفاحشـة، فأنزل الله تعالىٰ براءتها وقال تعالىٰ: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُم﴾ [النور:١١].

فبقي ذكرها رضي الله عنها يتلىٰ في سورة النور إلىٰ قيام السـاعة، وهنا دخل عليها ابن عباس رضي الله عنهما وقال: "أنزل الله عذرك من السماء فلا يزال يُقرأ به في مسـاجد المسـلمين إلىٰ قيام السـاعة"، فتبقىٰ أي أحد يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ [النور:١١] ما الإفك؟ من هو الذي رُمي؟ فيقال: هذه أم المؤمنين وأنزل الله براءتها فتعظم قيمتها رضـي الله عنها وهي عظيمة رضـي الله تعالىٰ عنها.

"من قذفها بما برأها الله منه فقد كفر": وهذه العبارة بإجماع المسلمين ويذكرها الفقهاء في موارد الإجماع: أن من قذف عائشة بعد أن برأها الله تعالىٰ مما قذفها به مَن قذفها من الفاحشة أنه يكون كافرًا؛ لأنه كذَّب القرآن الذي برأها الله تعالىٰ فيه.

ولهذا قال بعد ذلك: "ومعاوية خالُ المؤمنين".

خال المؤمنين قال لأنه أخو أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان هي أخته، من أهل العلم من يقول: كما أنهن أمهات للمؤمنين فإخوانهن أخوال للمؤمنين ومعاوية رضي الله عنه .. لماذا خص علَىٰ معاوية عمدًا ..

وإلا عبد الله بن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما خال للمؤمنين هو أخو حفصة، وهكذا غيره ممن يكون أخًا لزوجة من زوجات رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، لكن معاوية لأنه يتناوله أعداء الله تعالىٰ بالمذمَّة، قالوا: خال المؤمنين كما أن أم حبيبة أم المؤمنين، ومن أهل العلم من يقول: لا، لا يتعدىٰ؛ لأن قول الله عز وجل في زوجات رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أنهن أمهات" لا يعني أخواتهن خالات للمؤمنين، وأن إخوانهن أخوال، ومنهم من يقول: بلىٰ، ثم قال: "وكاتب وحي الله" لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم جعلهم في كُتاب الوحي أحد خلفاء المسلمين رضي الله تعالىٰ عنهم وأرضاهم.

ومن السُّـــنة: الســـمع والطاعة لأئمة المســـلمين وأمراء المؤمنين - برِّهم وفاجرهم - ما لم يأمروا بمعصـــية الله؛ فإنه لا طاعة لأحد في معصـــية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتىٰ صار الخليفة، وســـمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشـــق عصا المسلمين.

تكلم عن أمر الســـمع والطاعة بأئمة المســـلمين، والمراد بالأئمة: الحكام ملوكًا، رؤســـاء، أمراء مؤمنين، خلفاء - تختلف المهم أن يكون قد ولي أمر المسلمين. "لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برِّهم وفاجرهم" يُسمع له ويُطاع حتىٰ لو كان فاجرًا، أما البر واضـــح أن يُســـمع له ويُطاع لكن كيف يُطاع الفاجر والعاصـي؟ لأنك لا تطيعه في المعصـية، أما كونه قد ولاه الله عز وجل فكما قال النبي صـلىٰ الله عليه وسـلم بل قبل ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَـــاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَـــاءُ﴾ [آل عمران:٢٦] لا يمكن أن يتملك أحد علىٰ وجه الأرض إلا إذا ملكه الله، ثم إن الله تعالىٰ أخبر أن الأمر بيده إن شـاء نزع من شـاء منهم، وإن شـاء أبقىٰ المُلك لمن شـاء منهم، لكن إذا ثبتت له الولاية ترتبت عليه أحكامها؛ ولهذا قال صـــلىٰ الله عليه وســـلم: «وأن تناصـــحوا من ولاه الله أمركم». هو الذي ولاه الله عز وجل تمكين الله لهذا دون غيره هـذا من توليـة الله عز وجـل لـه، ويترتـب عليهـا جملـة من الأحكـام، من

ضـــمنها: الســـمع والطاعة له في المعروف، بغض النظر عن بره أو فجوره ما دام مسـلمًا المقصـود ما دام مسـلمًا، قد يكون عاصـيًا وقد يكون عنده كبائر ذنوب وأعظم الكبائر التي هي أعظم من شـــرب الخمر وأعظم من الزنا التعدِّي علىٰ الناس في دمائهم، فهذه أعظم، ومع ذلك أمر الصحابةُ بالصبر علىٰ مثل الحجاج وعلىٰ غيره، في البخاري أن أنس رضـــي الله عنه قال لما شـــكىٰ أهل العراق ما يلقون من الحجاج؟ قال: اصبروا فلا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه سمعته من نبيكم صلىٰ الله عليه وسلم.

فيُصـــبر عليهم لتثبت الجماعة ولا ينخرم أمر الجماعة وتتفرق الأمة شـــذَر مذَر وتكون ألعوبة بيد أعدائها، ما لم يأمروا بمعصية طيب إذا أمروا بالمعصية؟ لا يطاعون في المعصـــية، لكن ماذا عن أوامرهم الأخرىٰ؟ باقية، فبعض الناس يفهم أنه مثلًا لا نطيعهم في المعصـــية خلاص إذا أمر بالمعصـــية انتهت ولايته فكيف؟ غير صحيح هذا؟!

لا نطيعهم فيما أمرونا فيه من معصـــية، أما بقية الأمور التي يأمرون فيها مما ليس فيه معصـــية فإنهم يطاعون فيها، وقال: "فإنه لا طاعة لأحد في معصـــية الله" طيب من هو ولي الأمر من هو ولي الأمر؟ قطعًا من المسـلمين الكلام علىٰ ولي الأمر المســـلم، أما الكافر فليس له ولاية علىٰ المســـلمين، ومن ولي الخلافة والمقصود بالكافر الكافر الحقيقي ما هو بالكافر الذي بالهوىٰ، فإذا أراد الإنسان

أن يزحزح الحاكم قال: هذا كافر، انظر صنع كذا وصنع كذا وصنع كذا، وهذا يدل علىٰ كفرهم، هذا باطلٌ، الكافر واضح والمسلم واضح، فكون هذا المسلم عاصيًا عنده تجرؤ علىٰ الدماء أو علىٰ الأموال فهذا وضع آخر هذه معصية، فلو وصلت هذا النوع من معاصيه سائر الأرض فهو مسلم، ولهذا قال صلىٰ الله عليه وسلم: «حتىٰ تروا فيه كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان».

برهان ما هو المسألة هوىٰ، فإذا أراد أن يتنصل من ولاية أحد قال هو كافر وأنا ما أنزع يد من طاعة مؤمن لكن هذا كافر لا الكفر ليس ألعوبة «عندك فيه من الله برهان».

"ومن وليَ الخلافة واجتمع عليه الناس" يعني طواعية ورضوا فهذا أفضل أنواع الولاية؛ لأن الناس بايعوه علىٰ الرضىٰ فهو ولي أمرهم، وذلك بلا شك يكون أيسر وأسلم للجماعة، لكن يأتي وضعٌ آخر: أن يغلبهم بسيفه ويتمكن بالقوة من السيطرة علىٰ الحكم، حتىٰ يقال: أين خليفتكم؟ هذا الخليفة، أين مليككم؟ هذا المليك، أين أمير المؤمنين؟ هذا هو، قال: "حتىٰ صار خليفة، وسُمي أمير المؤمنين" سموه قالوا هذا لأنه تملك، تملك أمسك البلد فصار يأمر وينهىٰ فيجب أن يطاع، كيف يُطاع وهو أتىٰ إلىٰ الناس بالقوة حتىٰ تُطفأ الفتنة وحتىٰ لا تسيل الدماء بين المسلمين؛ لأنه لو قيل: لا قاوم، كيف يقاومونه وهو قد غلبهم بسيفه بالقوة؟! فما خرج عليه عُبادة؛ لهذا إذا تمكن وتغلب فإنه

في هذه الحالة يُسمع له ويُطاع "وجبت طاعته وحرُمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا" مَن؟ المسلمين، ما هو شق عصاه هو لا، هو تملك وصار الآن حاكمًا علىٰ المسلمين، فإذا خرجت عليه شققت عصا المسلمين، ولهذا في الحديث: «من فارق الجماعة مات ميتةً جاهلية».

وفي اللفظ الآخر: "من خرج من السلطان".

مفارقة الجماعة كيف تكون؟ هل تشوف أحد يعني غضبانًا علىٰ جيرانه وعلىٰ الناس ويأخذ سيفًا ويضرب الناس؟ لا، الجماعة الخروج عليها الخروج علىٰ رأسها فإذا خرج علىٰ رأسها خرج علىٰ جماعة المسلمين، وجماعة المسلمين يكون لها رأس يأمر وينهىٰ يُطاع بالمعروف، ويُصبر علىٰ ما قد يكون عنده من جور من تعدي، أو عدم إيفاء حقوق يُصبر لأجل سلامة الجماعة، فمن خرج عليه فقد شق عصا المسلمين. نعم.

ومن السنة: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلىٰ كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعةٌ، وكل متسمٍّ بغير الإسلام والسُّنة مبتدعٌ، كالرافضة والجهمية والخوارج والقَدرية والمُرجئة والمعتزلة والكرَّامية والكُلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

وأما النسبة إلىٰ إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مُثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعةٌ.

نسأل الله أن يعصمَنا من البدع والفتنة، ويحيينا علىٰ الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله آمين.

وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ختم رحِمه الله بعد أن ذكر لك المعتقدَ، وهناك من يخالف هذا المعتقد.

قال: "ومن السنة: هجران أهل البدع".

إذا كان النبي صلىٰ الله عليه وسلم هجر ثلاثةً من خيار أصحابه رضي الله عنهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك حتىٰ أنزل الله توبته عليهم، فما بالك بالمخالف الذي يأتي ببدعة علىٰ خلاف الاعتقاد الصواب؟ لا شك أنهم أهلٌ لأن يُهجروا والهجران متنوع منه ترك السلام، ومنه ترك زيارتهم، وترك عيادة مرضاهم، وترك شهود جنائزهم، فأنواع من الهجران وإذا كان الواحد من أهل البدع جاهلًا

فأول ما يُبدأ معه بالتعليم يُعلم، أما إذا كان مُصـرًّا فإنه يُهجر ويتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بهجْره.

"ومباينتهم": المباينة أي المخالفة لهم.

"وترك الجدال والخصـومات في الدين": المُصـر من هؤلاء الذي يريد أن يُوصـل شُـبهاته من خلال مناقشـاته لا يحل أن يُناقش، لكن من جاء مُسـتعلمًا مسـتفهمًا يريد منك أن تدله وعلمت ذلك منه فإنك توجهه، أما المخاصـمات والمجادلات بحيث يصـل إلىٰ عامة المسـلمين من الشـبهات ما لم يكونوا يعلمونه فلا.

"وترك النظر في كتب المبتدعة" : تكلم عن الكتب نحن لا نقول في المواقع الإلكترونية، في القنوات، في سائر ما يوصلنا به ضَررهم، يجب أن يُترك هذا ولا يُنظر فيه، ولا سيما والخائضون فيه في العموم الأغلب ممن يجهلون حقيقة هذه المذاهب وتدخل عليهم الشبهات وتضلهم وتزلزلهم، أما إذا دخل في مثل هذه الأمور من يرد عليهم من أهل العلم فهذا واضح أنه مستثنىٰ باعتبار أنه يريد أن يدحض باطلهم، لكن لا يجوز أن يدحض باطلهم إلا إذا وصل المسلمون، أما ما دام باطلهم في بلدانهم ولا يصل إلىٰ المسلمين شرُّه فإنه لا يجوز أن يناقَش، وإذا ناقشته فتحت الباب علىٰ الناس، لكن إذا وصل الضُّر إلىٰ المسلمين فإنك ترد من باب الضرورة.

وهكذا "والإصغاء إلىٰ كلامهم" : لا تصغي إلىٰ كلامهم ولا تعيرهم سمعك.

"وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسمٍّ": يعني يسمي نفسه بغير الإسلام ..

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨] .. هو الإسلام، وكذلك السُّنة لأن سُنة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الاعتقاد؛ فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين، فإذا تسمىٰ بغير الإسلام والسُّنة وسمىٰ نفسه باسمٍ فإنه مبتدع، ولو قال: هذا الاسم جيد وأنا أقصد به المعنىٰ كذا فما يحل لا يجوز هذا.

قال: "كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية". الكرامية يعني ذكروا أصحاب محمد بن كرام، والكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب وهم الذين خلفهم وورثهم الأشعرية والماتردية، يعني أصل المقالتين تعود إلىٰ مقالة ابن كلاب.

قال: "ونظائرهم فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع"، ثم نبهك إلىٰ أمر الخلاف المتعلق بمسائل الأحكام الذي يسمىٰ: "فروع الدين" كالموجود من مذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، فهذا الخلاف ليس بمذموم

بشرط؛ لأنه قد يكون مذمومًا، والشرط هذا هو الذي قرره الأئمة الأربعة رحمة الله تعالىٰ عليهم وصاحوا به بأعلىٰ أصواتهم، وهو ألا يُقلدوا ويُتعصب لأقوالهم تعصب الأعمىٰ، وإذا تبين أن الحق في خلاف ما قرره إمام المذهب الذي أنت عليه في المذاهب الفقهية فلا يحل لك أن تستمسك بقوله في هذه الحالة بل هو ينهاك عن أن تستمسك بقوله، وللأئمة في هذا كلام عظيم جدًّا في زجر أتباعهم عن التعصب لأقوالهم، وأنهم بشر يمكن أن يُخطئوا ويصيبوا ولا شك يعني أنت تتصور الإمام أحمد أقواله في الفقه من أولها إلىٰ آخرها كلها صواب؟! إذًا فهو نبي عندك! وليس بعالم من العلماء!، الذي لا يمكن أن يُخطئ هو رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وإذا كان الخطأ واردًا علىٰ أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في الجانب الفقهي علىٰ الواحد طبعًا، المقصود علىٰ الواحد، أما جميعهم فلا يمكن أن يجمعوا علىٰ بعض رضي الله عنهم.

إذا كان يمكن أن يُخطئ في المسألة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووقع منه رضي الله عنه بعض المسائل ونبهه عليها الصحابة فرجع عنها، طيب أبو حنيفة وأحمد ومالك والشافعي أليسوا دونه؟ بلىٰ، فالمدارس هذه ينشأ الإنسان في بيئة حنفية كل من حوله يدرسون الفقه الحنفي ما في إشكال، لكن عندك القاعدة التي يمشي عليها الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وهي أنه يُقدم الدليل فمتىٰ ظهر الدليل فإنه يترك القول الشائع في المذهب ويقدم عليه الدليل،

وهذا الذي عليه المحققون من أهل العلم رحمهم الله تعالىٰ، لا يترددون في هذا، وأول محققين من الذين أقروا هذا بعد الصحابة والتابعين هم الأئمة الأربعة كلهم يقولون: إياكم والاستمساك بقولٍ يقوله الواحد منا ثم يُخطئ فيه ثم تأخذه وكأنه قرآن أو سُنة، إذًا هذا الخلاف متىٰ لا يكون مذمومًا؟ إذا كان بهذا الشرط، عند ذلك يكون خلاف اجتهاد، ولهذا قال: "فهم محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم"، لكن بشرط أن يكون الإنسان ممن يحق له الاجتهاد، أما أن يأتي مثل بعض الناس الآن ويفعل فعل ويقول والله أنا اجتهدت فيه، فمن قال لك أن تجتهد أنت؟! الاجتهاد ليس لأي أحد حتىٰ يجتهد وإنما لمن له حق وتؤهل في العلم الشرعي حتىٰ يجتهد.

"واختلافهم رحمة واسعة"، لماذا؟ لأنه مثلًا إذا كان عاميًّا وتبع أصحاب هذا المذهب وكانوا علىٰ خطأ فهذا العامي لا يعاقب، لماذا؟ لأنه اتبع مجتهدًا وهذا المجتهد مُثاب، والعامي ما يستطيع أن يُحرر مسائل العلم ويعرف الأدلة، فعند ذلك تكون رحمة حتىٰ وإن كان الراجح في قول غيرهم.

"واتفاقهم حجة قاطعة" قطعًا إذا اتفقوا علىٰ أمر فإنهم لا يتفقون علىٰ باطل، ثم دعا الله بأن يعصمنا من البدع والفتن وأن يعيننا علىٰ الإسلام والسنة وأن يجعلنا ممن يتبع نبيه صلىٰ الله عليه وسلم ويحشرنا في زمرته.

أسئلة ومناقشات:

السؤال: يقول: ما هي لوازم القول بالتفويض؟

الجواب: التفويض مقتضـــاه أنه ما في فرق بين قوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر:٥٠] . فيكون الكلام كلام الله تعالىٰ الذي قال الله تعالىٰ فيه وسـماه بالشـفاء والنور والهدىٰ والفرقان والبيان يكون كأنه طلاســم لا يُعرف في أعظم باب وهو باب العلم بالله باب الصفات، فالصفات كما تقدم عن شريك بها عرفنا الله، فإذا قيل: لا يُعرف معناه؟ فمعنىٰ ذلك: أنك سددت علىٰ الناس باب العلم بالله عز وجل.

الســؤال: يقول: القائلون بإثبات الأســماء دون الصــفات ومن يثبت بعض الصفات ويثبت الأسماء كما يثبتها أهل السُّنة سواء بسواء بإثبات الاسم والصفة التي يتضمنها؟

الجواب: الناس في هذا الباب منهم أهل الســنة أهل الحق الذين يُثبتون الاسم والصفة، ومنهم أهل الباطل من الجهمية الذين ينفون الاسم والصفة معًا وهم الغلاة أصحاب الجهم، ومنهم المعتزلة يُثبتون الاسم دون الصفة فيقولون: عليم بلا علم، قال أهل العلم: هو تسمىٰ تعالىٰ بـ ﴿العليم﴾؛ لأنه متصف بالعلم سـبحانه وتعالىٰ، فإذا كان سـبحانه غير متصـف بالعلم يكون تسـميته بالعلم – قاتلكم الله– في غير محله، هو سبحانه وتعالىٰ تسمىٰ بـــ ﴿العليم﴾ لأنه متصف بالعلم، أما قولك أنك تسـميه باسـمه الذي سـمىٰ به نفسـه وأنفي الصـفة التي

تضمنها الاسم فلا شك أن هذا من يعني في الحقيقة من العجائب .. يعني مر بنا في الحقيقة أكثر من قول اليوم للمعتزلة يدل علىٰ أن هذا المذهب الذي ينفخ فيه هؤلاء الليبراليون وأضرابهم أنه من أسخف المذاهب، فهم يحاولون أن يصلوا علىٰ أن مذهب أهل العقل المستنير المتحرك .. بالعكس، ما دام سبحان الله فيه من الخلط والفوضىٰ، ومن مثل هذه المسائل يقول: عليم بلا علم، لماذا تقول: عليم؟ قال: أنا أثبت الاسم دون الصفة!، أي معنىٰ لإثبات اسم دون صفة؟!، إلىٰ غير ذلك من تُرهاتهم وضلالاتهم إضافة إلىٰ أن المعتزلة خوارج، خوارج يرون أن صاحب الكبيرة في النار، يرون أيضًا الخروج بالسيف علىٰ الأئمة، فمثل هذه الأمور لا شك أنها دالة علىٰ ما عند هؤلاء من سوء المعتقد.

والأشاعرة المتأخرون مثلما قلنا: مالوا كثيرًا إلىٰ قول المعتزلة وخالفوا حتىٰ أبا الحسن الأشعري.

تكلم عن موضوع الجسم: هل يُثبت لله أوْ لا؟ مثلما قال أهل السنة هذه الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في النصوص لا تُطلق إثباتًا ولا نفيًا ويُستفصل ممن يقولها، فإن قال أعني بالجسم أنه يُثبت لله تعالىٰ السمع والبصر فنحن نقول: أصبت في المعنىٰ وأخطأت في التسمية؛ لأن الله ما سمىٰ نفسه؛ لأن الله له سمع وبصر نعم يليق به أيضًا، وإن قال أعني أن له اسم كالبشر؟ يقال:

أخطأت في التسمية وفي المعنى؛ ولهذا الذي لم يرد نفيه ولا إثباته في النصوص لا يجتروا عليه لا بنفي ولا إثبات.